

الأمثال فى الحديث النبوى

دكتور

كمال الدين عبدالغنى المرسى

كلية التربية. جامعة الإسكندرية

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ. ٢٠٠١م

المكتب الجامعى الحديث

الأزاريطة ـ الإسكندرية

تليفاكس : ٤٨٤٣٨٧٩

اهداءات ٢٠٠٢
أ.د/ مصطفى الصاوى الجوينى
الاسكندرية

الأمثــال فى الحديـث النبــوى

دكتور

كمال الدين عبدالغنــى المرســى

كلية التربيــة ـ جامعة الاسكندرية

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠١ م

المكتب الجامعي الحديث

الأزاريطة - الاسكندرية

تليفاكس : ٤٨٤٣٨٧٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الأمثال في الحديث النبوى

توطئة :

أحدثت البعثة المحمدية نهضة علمية عظيمة لايزال يتردد صداها وتتسع دائرتها يوماً بعد يوم لاسيما فى مجال العلوم اللغوية الأدبية التى قامت على القرآن والحديث النبوى، فالقرآن له أسلوب أعجب العرب بحسن تأليفه وإعجاز نظمه وروعة فواصله ، وانسجام قصصه وبديع أمثاله، جعلهم يعترفون بأنه فى أعلى درجات البلاغة حينما تحدى أهل الفصاحة فيهم بأن يأتوا بمثله بل بعشر سور بل بسورة من مثله فما فعلوا وما استطاعوا .

« وللقرآن الكريم الأثر الكبير في حفظ اللغة العربية ونمو علومها ورقى أدائها ، فقد سحر الناس بيانه فعكفوا عليه يحفظونه ويقتبسون منه ويحاكونه ويتأثرون بأساليبه وألفاظه وتراكيبه، وعكف قوم على تدوين العلوم كالبلاغة والنحو خدمة له ومحاولة لفهم أسراره، ولما دخلت الأمم المختلفة فى الإسلام ؛ رأوا تعلم اللغة العربية وسيلة من وسائل فهم الدين فأقبلوا عليها وعدوا تعلمها دينا، وهجر كثير منهم لسانهم ولغتهم من أجلها، ولما اختلفت الأمم فى اللهجات، وأصبح لكل أمة لغة عامية يتخاطبون بها ظلت العربية اللغة الأدبية والكتابية بينهم مشتركة » (١). ويرجع الفضل الكبير فى ذلك للقرآن الكريم .

---

١ - المجمل فى تاريخ الأدب العربى ، لجنة ألفتها وزارة المعارف من : د/ طه حسين ، أحمد الإسكندرى وأحمد أمين، وعلى الجارم، وعبد العزيز البشرى، وأحمد ضيف. المطبعة الأميرية بالقاهرة سنة ١٩٣٠م.

أما الحديث النبوى، فهو كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو يبين للناس ما جاء فى القرآن مجملاً ، ويفصّل لهم ما ورد فيه مجملاً، مصداقا لقول الحق تبارك وتعالى ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُزِّل إليهم ولعلهم يتفكرون** ﴾ النحل آية ٤٤ .

وقد أدى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا التبيين بأسلوب بليغ، فبلاغته ﷺ متأثرة ببلاغة القرآن، وهو أفصح العرب قاطبة وقد أوتى جوامع الكَلِمْ وقد صدق الله العظيم إذ يقول ﴿ **وعلَّمكَ ما لم تكن تعلم وكان فضلُ اللهِ عليكَ عظيما** ﴾ النساء ١١٣ .

« فلا جَرَمَ أن يكون المأثور عنه من الحديث صفوة اللغة وحلية البيان بعد القرآن : يقتبس الأديب من لفظه، وينتفع البليغ بصوغه، ويستمد مفسر القرآن من أثره، ويستكمل الفقيه الأحكام الشرعية من نصّه، ويشيد اللغوى صرحا للغة من كلمه، ويستظهر الحكيم بحكمته ، إذ كان عليه الصلاة والسلام لاينطق بلغو ولا يقصد إلى غير توضيح قرءانٍ أو تقرير شرعٍ، أو هدايةٍ إلى حقٍ »[1] ولقد أتاه الله موهبة البيان حتى أنّه ليتكلم باللفظ فيجمع فى وجازته المعانى الكثيرة، مما شجّع العلماء على البحث فى سر بلاغته وحلاوة منطقه وعذوبة صياغته، ولهذا تضافروا على الحديث يجمعونه ويشرحونه ويستنبطون منه، فأثروا بجهودهم الثقافة العربية والإسلامية بكثير من المؤلفات مما عد ذخيرة أدبية قيّمة وثقافة علمية عالية تفخر بها الأمة الإسلامية على من دونها فى هذا المجال ، وفى غضون تلك الشروح تأتى أشياء متفرقة عن بلاغة الحديث النبوى . ليتها تصنف وتجمع فى كتاب يضمها .

ولعل من أهم الكتب التى عالجت موضوع البلاغة النبوية كتاب

---

١ – المفصل فى تاريخ الأدب العربى ، تأليف : أحمد الإسكندرى وآخرين . وزارة المعارف العمومية ، ص ١٠١ مطبعة مصر سنة ١٣٥٢هـ سنة ١٩٣٤م.

« المجازات النبوية » للشريف الرضى (٣٥٩- ٤٠٦هـ) ، وكتاب« الفائق فى غريب الحديث» للإمام الزمخشرى (٤٦٧-٥٣٨هـ)وكتاب « إعجاز القرآن والبلاغة النبوية » لمصطفى صادق الرافعى (ت ١٩٣٧) .

ولقد تخيرت من أحاديث نبينا الكريم موضوع « الأمثال » ، لما فيها من تصوير رائع يأخذ بالألباب، فذكرت منها ما بدأ بكلمة « مثل »، أو اشتمل عليها ، إذ هى تدخل فى نوع البيان المسمى بالتشبيه، وللرسول صلى الله عليه وسلم تشبيهات بليغة بغير لفظ « مثل » كقوله عليه السلام فى ذكر الخوارج (يمرقون من الدِّين كما يمرق السهم من الرميَّة ..) فالتشبيه هنا بالكاف، وهناك أحاديث أخرى أُضْمِرتْ فيها أداة التشبيه كقوله عليه الصلاة والسلام وقد سئل عن العزل (هو الوأد الخفى) وهذا تشبيه بليغ حيث جعل العزل فى الجماع كالوأد إلاَّ أنه خفى ، واقتصر على المشبه وهو العزل الذى أشار إليه بقوله « هو » ، والمشبه به الذى هو الوأد الخفى فحذف الأداة ووجه الشبه مما جعله بليغا . ومثل ذلك كثير فى كلامه صلى الله عليه وسلم ، ولهذا اقتصرنا على نوع الحديث الذى يبدأ بلفظ مثل فقط أو اشتمل عليها ليناسب عنوان البحث وهو **الأمثال فى الحديث النبوى** .

« وتظهر أهمية الأمثال فى أنها وسيلة تربوية لما فيها من الوعظ والتذكير، والحث والزجر ، ولما فيها من تصوير المعانى تصور الأشخاص والأعيان الذى هو أثبت فى الأذهان، لاستعانه الذهن فيها بالحواس ولذا قيل : « المثل أعون شيء على البيان » [1] .

---

١ - د/ فؤاد عبد المنعم أحمد، الأمثال والحكم للماوردى (ت ٤٥٠هـ) ، تحقيق ودراسة، مؤسسة شباب الجامعة بالاسكندرية، (نقلا عن معترك الأقران للسيوطى ١ : ٤٦٨).

منهـــج البحث :

إن الباعث على تأليف هذا البحث هو التنويه إلى أهمية دراسة التشبيهات فى الأسلوب النبوى الكريم، لتزجية البحوث فى مضمار البيان النبوى إذ الحاجة داعية إلى أن يوجه علماؤنا عنايتهم إلى تأليف كتب مبسوطة فى هذا الشأن بحيث يقربونها لأفهام أهل هذا العصر بطريقة سهلة وبذلك يؤدون خدمة كبيرة فى توضيح البلاغة فى الحديث النبوى وما نظنهم إلاّ فاعلين ذلك إن شاء الله تعالى .

(ونحن فى هذا البحث نسعى جاهدين فى سبيل تطبيق ما عَلِمْناه من قواعد التشبيه على طائفة مختارة من أحاديث التمثيل التى وردت فى الكتب الصحاح الستة وهى الأحاديث التى تبدأ بكلمة « مثل » نأخذ منها زائنات المعانى التى نستشعرها وما نحس على الإجمال من روعة الأسلوب النبوى عند سماعه أو قراءته لاسيما أن ألفاظه جاءت فى عمومها مأنوسة الاستعمال، رخيمة الجرس، واضحة الدلالة. وعلى هذا فإن البحث يقتصر على دراسة متن الحديث النبوى فى ضوء النوع البلاغى المسمى بالتشبيه أو التمثيل للتعرف على البيان النبوى فى حدود هذا الغرض ليس أكثر .

-- « شبهة لابد من دحضها » --

هناك شبهة لابد من دحضها وتبيين فساد زعم من قال بها، وهى أن بعض الناس يقولون إن أحاديثه ﷺ ظنية الثبوت، وأن الحديث منقول عنه بالمعنى ولذا فإن الحديث غير المتواتر ليس أسلوبه أسلوب النبى صلى الله عليه وسلم، فكيف نحكم عليه واللفظ ليس كله من لفظه لأنه منقول عنه بالمعنى ؟

وتبرز ها هنا **قضيتان** : أولاهما ظنية ثبوت الأحاديث غير المتواترة ، وثانيهما : رواية الأحاديث بالمعنى دون الالتزام بلفظ النبى صلى الله عليه وسلم حرفيا .

أما القضية الأولى: فقد حسمها علماء الحديث ، وأثبتوا صحة النسبة إليه ﷺ لما ورد عنه من أقوال قالها أو أخبار تتعلق بشأنه عليه السلام، عن طريق قواعد نقد السند وقواعد نقد المتن ولا سبيل لأحد أن يضيف إليها، أو يزيد على ما بذلوا مهما تعمق فى البحث وأمعن فى الفحص ، لأنهم لم يدعوا زيادة لمستزيد ولا مذهبا لذى إحسان، وقد بلغوا فى التمحيص والتدقيق غاية لا متجاوز وراءها لمجتهد .

وأما القضية الثانية : وهى الرواية بالمعنى فقد رضى صلى الله عليه وسلم من أصحابه أن يؤدوا حديثه بالمعنى عند تعسر الالتزام بحرفية النص، ففى الحديث : عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال : سأل رجل النبى ﷺ فقال : يارسول الله؛ إنك تحدثنا حديثا لا نقدر أن نسوقه كما نسمعه، فقال إذا أصاب أحدكم المعنى فليحدّث » [1] .

وقد أباح صلى الله عليه وسلم لأصحابه أن يتحروا الصدق فى الحديث عنه، فإن أصابوا معناه فهو أولاهم به ، وحذّر من الكذب عليه

---

١ – أبو بكر أحمد بن على بن ثابت ، الخطيب البغدادى ت ٤٦٣ هـ ، كتاب الكفاية فى علم الرواية، ص ٣٠٢ الطبعة الأولى سنة ١٩٧٢ ـ مطبعة السعادة بالقاهرة ـ دار الكتب الحديثة بعابدين .

فقال : « من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار »[1] . كما قال أيضاً : « إذا سمعتم الحديث عنى تعرفه قلوبكم وتلين له أشعاركم وأبشاركم ، وترون أنه منكم قريب فأنا أولاكم به . وإذا سمعتم الحديث عنى تنكره قلوبكم وتنفر منه أشعاركم وترون أنه منكم بعيد ، فأنا أبعدكم منه »[2] .

فالرسول صلى الله عليه وسلم وافق على أن ينسب إليه الحديث الصحيح ووضع المقياس النقدى للصحابة رضوان الله عليهم فى قوله: « تعرفه قلوبكم وتلين له أشعاركم وأبشاركم وترون أنه منكم قريب» حينئذ يوافق على نسبته إليه لأنهم تحروا رشدا ، أما إذا كان الحديث مما تنكره قلوبهم وتنفر منه أشعارهم، فهو لايوافق على نسبته إليه فى هذه الحال، وعلى ناقله أن يعلم أنه من أهل النار .

ولذلك نجد الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين قد تشددوا فى الرواية عنه، ولم يقولوا عنه إلاّ ما سمعوه منه دون زيادة . وكذلك كان التابعون من بعدهم، وأتباع التابعين إلى أن دونت أحاديثه صلى الله عليه وسلم فى الكتب والمصنفات وقيض الله سبحانه وتعالى لهذا الحديث النبوى الشريف علماء كأنهم لم يخلقوا إلاّ لحمله والحفاظ عليه جيلا بعد جيل إلى يومنا هذا .

روى الخطيب البغدادى بسنده عن مزاحم عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ (مهما أوتيتم من كتاب الله فالعمل به لاعذر لأحدكم فى تركه، فإن لم يكن فى كتاب الله فسنة منّى ماضية، فإن لم تكن سنة منى ماضية فما قال أصحابى، إن أصحابى بمنزلة النجوم فى السماء، فأيها

١ – أبو بكر الخطيب البغدادى ـ كتاب الكفاية فى علم الرواية ص ٢٧٢ ـ وابن الجوزى، كتاب الموضوعات، ، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، الناشر محمد عبد المحسن صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ـ الطبعة الأولى سنة ١٣٨٦هـ – ١٩٦٦م.

٢– المصدر السابق ص ١٠٣ . (ابن الجوزى) .

أخذتم به اهتديتم، واختلاف أصحابى لكم رحمة)[1] .

فاختلاف الروايات لنا رحمة لأنها تساعد على الفهم وصحة التأويل، فإن جاء الحديث بتقديم لفظ أو تأخيره أو مطولا عند بعضهم مختصرا عند آخرين فلا بأس ، ذلك لأنهم كلهم عدول، والله سبحانه وتعالى قد زكاهم من فوق سبع سماوات فقال : ﴿ **محمدٌ رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم، تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود، ذلك مثلهم فى التوراة ، ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما** ﴾ الفتح آية ٢٩ .

كما أنه سبحانه وتعالى زكى المهاجرين والأنصار فى قوله تعالى : ﴿ **للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله ، أولئك هم الصادقون، والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾ الحشر آية ٩ .

كما أثر عن النبى ﷺ قوله (سألت ربى فيما اختلف فيه أصحابى من بعدى ، فأوحى الله إلىّ : يامحمد إن أصحابك عندى بمنزلة النجوم فى السماء، بعضها أضوأ مِن بعض ، فمن أخذ بشيء مما هم عليه من اختلافهم فهو عندى على هدى ..) [2] .

وكذلك عدّل الله التابعين الذين ورِثوا العلم عن الصحابة فى كتابه الكريم حيث قال ﴿ **والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه** ﴾ التوبة آية ١٠٠ .

وقد عدّل النبى ﷺ أيضا التابعين وربما أتباع التابعين أيضا فيما ورد

---

١ – ابو بكر الخطيب البغدادى ، كتاب الكفاية فى علم الرواية ، ص ٩٥ ، طبعة دار الكتب الحديثة بمصر– الطبعة الأولى سنة ١٩٧٢ .

٢ – المصدر السابق ص ٩٦ .

من حديثه الذى رواه عبد الله بن مسعود أن النبى ﷺ قال : (خيرُ أُمّتى قرنى ثم الذين يلونهم [ثم الذين يلونهم] ، ثم يجيء أقوام تسبق أيْمانَهم شهادتهم، ويشهدون قبل أن يستشهدوا) [١] .

فاختلاف الرواية عن النبى ﷺ من صحابى لآخر أمر وارد لا شيء فيه، واختلاف الرواية التى نقلها التابعون عن الصحابى الواحد أيضاً أمر مقبول، لأن جمهور العلماء ذهب إلى جواز رواية الحديث بالمعنى فإن تحقق معناها ومعظم ألفاظها قبلت مالم يتغير المعنى. ولنضرب لذلك مثلاً؛ الحديث المروى عند مسلم عن ابن عمر أن رسول الله قال « إنما مَثَلُ صاحب القرآن كمثل الإبل المُعَقّلة إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت » [٢] .

نجد الحديث نفسه عند ابن ماجه عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « مثل القرآن مثل الإبل المعقّلة إن تعاهدها صاحبها بعُقُلها أمسكها عليه وإن أُطْلق عُقُلَها ذَهَبَتْ » [٣] .

فكما ترى أن الحديث معناه واحد، وألفاظه فى معظمها واحدة، وإن اختلف بعضها ، وكلاهما صحيح النسبة إليه ﷺ . وربما قاله ﷺ مرة هكذا ومرة هكذا. ولايجوز لأحد أن يقول بأن أحدهما ظنى الثبوت، أو يقول نقبل أحدهما ونرد الآخر ، لأن أهل الحديث أفنوا أعمارهم فى تمحيص الروايات ونقدها وأثبتوها كما نقلت لهم دون تصرف فى ألفاظها يعمل على تبديل فى معانيها، إنما ربما غيّر أحدهم اللفظ محافظا على معنى الحديث فلم يروا بذلك بأساً ولذلك كان واثلة بنُ الأسقع يقول:

١ – المصدر السابق ص ٩٤ ـ وأخرجه البخارى فى كتاب فضائل أصحاب النبى ﷺ، انظر فتح البارى الحديث رقم ٣٦٥٠ بلفظ « خير الناس قرنى .. » .

٢ – الحديث فى صحيح مسلم ج ٦ ص ٧٥ باب فضل القرآن وما يتعلق به .

٣ – الحديث فى سنن ابن ماجة ، كتاب الأدب باب ثواب القرآن ج٢ ص ١٢٤٣ برقم ٣٧٨٣ والمعقلة المشدودة بالعقل، والعقل جمع عقال كالكتب جمع كتاب ، والعقال هو الحبل الذى يشد به ذراع البعير .

«إذا حدثناكم على المعنى فَحَسْبُكُمْ».وعن محمد بن سيرين قال: كنت أسمع الحديث من عشرة، اللفظ مختلف والمعنى واحد»[1] . ووضعوا شروطاً قاسية لقبول الحديث من الراوى وهى شروط تتعلق بشخص الراوى وشروط تتعلق أيضا بالمروى، كى يضمنوا صحيح الحديث الوارد عن النبى صلى الله عليه وسلم .

ولقد تخوّف بعض علماء الحديث من التشدد فى تتبع الألفاظ المختلفة فى الحديث فقال : « أخاف أن يضيّق على الناس تتبع الألفاظ ؛ لأن القرآن فى أعظم حرمةٍ ووُسّع أن يُقْرأ على وجوه إذا كان المعنى واحدا»[2] .

ولقد وجه علماء الأمة عنايتهم المنقطعة النظير لجمع الأحاديث الصحيحة واعتمدوا لنا كتبا ستة من سائر الكتب المصنفة فى الحديث النبوى هى : (صحيح البخارى ، الذى هو أصح كتاب بعد القرآن العظيم على وجه الأرض، يليه صحيح مسلم ، ثم سنن أبى داود ثم جامع الترمذى ثم سنن النسائى ثم سنن ابن ماجة، وليس معنى هذا أن ما فى غيرها غيرُ صحيح، وإنما ارتضوا لنا منها هذه الستة لتكون مرجعا للمسلمين متعارفا عليه، ووصفوا كل حديث فيها بما يستحق ، والحقُّ ما قالوا ، وكان عبد الرحمن بن مهدى أحد أئمة الحديث فى عصره (ت١٩٨هـ) يقول : يحرم على الرجل أن يروى حديثا فى أمر الدين حتى يتقنه ويحفظه كالآية من القرآن ، وكاسم الرجل ، والمستحب له أن يورد الأحاديث بألفاظها لأن ذلك أسلمُ له) [3] .

---

١ – الترمذى ، الجامع الصحيح، كتاب العلل ج٥/٧٤٦ ـ طبعة مصطفى البابى الحلبى سنة ١٣٩٥هـ . سنة ١٩٧٥م.

٢ – رواه ابو بكر الخطيب البغدادى فى كتاب الكفاية ص ٣١٦، بسنده عن يحيى بن سعيد القطان قال : أخاف أن يضيق على الناس تتبع الألفاظ ...» .

٣ – أبو بكر الخطيب البغدادى، الكفاية فى علم الرواية ص ٢٥٨ .

فكيف بعد تلك الجهود الجبارة التى أفنوا فيها أعمارهم يأتى من يقول : إن الأحاديث النبوية ظنية الثبوت ؟! أو تلوح له ولو بعض شبهة فى صحة نسبتها إلى النبى صلى الله عليه وسلم فيتوقف فى الاستشهاد بها بحجة أنه يجد بعض الأحاديث مختلفة فى اللفظ لاختلاف الروايات، وقد بيّنا علة ذلك .

وأما عن قول بعضهم بأن البلاغيين قلما يستشهدون بالحديث النبوى فى دراساتهم البلاغية لأن معظم الأحاديث رويت على المعنى دون اللفظ، فهو قول يجانبه الصواب لأن البلاغيين فى الحقيقة توجهوا لدرس الإعجاز البلاغى للقرآن ، إذ القرآن معجز بلفظه، والحديث ليس معجزا بلفظه وإن كان فى أعلى درجات الفصاحة، وفارق كبير بين الدرس البلاغى للفصاحة النبوية، والدرس البلاغى للإعجاز القرآنى . فالنبى صلى الله عليه وسلم أفصح العرب لفظا وبيانا، ولكن أسلوبه ليس بمعجز ، وبلاغته مهما علت ليست كبلاغة القرآن ، وإنما تأتى فى المرتبة الثانية بعد كلام الله عز وجل .

وأيا ما كان فلا يستطيع شىء « أن يسقط النصوص النبوية من قيامها شاهداً على البلاغة البالغة فى قول النبى صلى الله عليه وسلم ، واتخاذ حديثه الشريف مناطا للدراسة، وأساليبه البيانية مجالا للبحث ، يفيد منها الدارسون بعد كلام الله العزيز، أمثلة متتالية فى تقويم اللسان والفكر ، ويجدون منه راحة النفس وسعادة القلب فى أفيائها أضعافَ ما يجدون فى خالص الشعر ورائع النثر، ويؤمنون إيمانا بصيرا بما تحمل عبارته الشريفة من عمق مدلولها : « أنا أفصح العرب .. » فهى لاتعنى الفخر الذى يعنيه البلغاء، ولكنها تصور الحق الذى بعث به الأنبياء » [1] .

---

١ – د/ عز الدين على السيد ، الحديث النبوى من الوجهة البلاغية ص ٤٢ .

بلاغة الرسول صلى الله عليه وسلم :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَفْصَحَ العرب « على أنه لا يتكلف القول ، ولا يقصد إلى تزيينه، ولا يبغى إليه وسيلة من وسائل الصنعة، ولا يجاوز به مقدار الإبلاغ فى المعنى الذى يريده، ثم لايعرض له فى ذلك سقَط ولا استكراه ؛ ولا تستزله الفُجاءة وما يَبْدَه من أغراض الكلام [1] عن الأسلوب الرائع، وعن النمط الغريب والطريقة المحكمة ؛ ثم أنت لاتعرف له إلا المعانى التى هى إلهام النبوة ، ونتاج الحكمة، وغاية العقل، وما إلى ذلك مما يخرج به الكلام وليس فوقه مقدار إنسانى من البلاغة والتسديد وبراعة القصد » [2].

وإن كان كلامه ﷺ لكما قال الجاحظ : « هو الكلام الذى قلّ عدد حروفه، وكثر عدد معانيه ، وجل عن الصنعة، ونُزّه عن التكلف . استعمل المبسوط فى موضع البسط ؛ والمقصور فى موضع القصر، وهجر الغريب الوحشىّ ، ورغب عن الهجين السّوقى ؛ فلم ينطق عن ميراث حكمه ، ولم يتكلم إلا بكلام قد حُف بالعصمة، وشُدّ بالتأييد، ويسّر بالتوفيق، وهذا الكلام الذى ألقى الله المحبة عليه وغشاه بالقبول ، وجمع بين المهابة والحلاوة، وبَين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام هو مع استغنائه عن إعادته وقلة حاجة السامع إلى معاودته ، لم تسقط له كلمة، ولا زلّت له قدم ، ولا بارت له حجة، ولم يقم له خصم ولا أفحمه خطيب ، بل يَبُذُّ الخُطَبَ الطوال بالكلام القصير، ولا يلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم ،

---

١ – أى يقتضيه للقول على البداهة ، وما يفجأه من أغراض الكلام البعيدة التى تحتاج إلى التقدير والروية وبعد النظر .

٢ – مصطفى صادق الرافعى، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص ٢٢٠ ـ دار المنار – مكتبة فياض .

ولا يحتج إلا بالصدق، ولا يطلب الفلج [1] إلا بالحق، ولا يستعين بالخلابة ، ولا يستعمل المؤاربة، ولا يهمز ولا يلمز [2] ، ولا يبطيء ولا يعجل، ولا يسهب ولا يحصر؛ ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً ولا أصدق لفظاً ، ولا أعدل وزناً، ولا أجمل مذهبا، ولاأكرم مطلباً، ولا أحسن موقعاً ، ولا أسهل مخرجاً، ولا أفصح عن معناه، ولا أبين عن فحواه ـ من كلامه ﷺ » اهـ[3] .

ويقول الرافعي :

« ولا نعلم أن هذه الفصاحة قد كانت له ﷺ إلا توفية ا من الله وتوقيفاً ، إذ ابتعثه للعرب وهم قوم يقادون من ألسنتهم، ولهم المقامات المشهورة فى البيان والفصاحة ؛ ثم هم مختلفون فى ذلك على تفاوت ما بين طبقاتهم فى اللغات وعلى اختلاف مواطنهم، فمنهم الفصيح والأفصح، ومنهم الجافى والمضطرب، ومنهم ذو اللوثة والخالص فى منطقه، إلى ما كان من اشتراك اللغات وانفرادها بينهم، وتخصص بعض القبائل بأوضاع وصيغ مقصورة عليهم، لايساهمهم فيها غيرهم من العرب، إلا من خالطهم أو دنا منهم دنو المأخذ .

فكان ﷺ يعلم كلّ ذلك على حقه ؛ كأنما تكاشفه أوضاع اللغة بأسرارها، وتبادره بحقائقها؛ فيخاطب كل قوم بلحنهم وعلى مذهبهم، ثم لايكون إلا أفصحهم خطاباً ، وأسدّهم لفظاً، وأبينهم عبارة، ولم يعرف ذلك لغيره من العرب، ولو عرف لقد كانوا نقلوه وتحدثوا به واستفاض فيهم .

---

١ – أى الفوز والظفر .

٢ – لا يغتاب ولا يعيب .

٣ – الجاحظ ـ البيان والتبيين ج ٢ / ٢٢١ ، بتحقيق فوزى عطوى دار صعب بيروت سنة ١٩٦٨ .

ومثل هذا لا يكون لرجل من العرب إلا عن تعليم أو تلقين أو رواية عن أحياء العرب حيًا بعد حيّ وقبيلاً بعد قبيل، حتى يَفْلى لغاتهم، ويتتبع مناطقهم ، مستفرغا فى ذلك متوفرا عليه، وقد علمنا أنه ﷺ لم يتهيأ له شيء مما وصفنا، ولا تهيأ لأحد من سائر قومه على ذلك الوجه [1] علماً ليس بالظن ، ويقينا لا مساغ للشبهة فيه ؛ إذ ترادفت به طرق الأخبار المتواترة، وكان مصداقه من أحوال العرب أنفسهم؛ فما عُرف أن أحداً منهم تقصص اللغات وحفِظ ما بينها من فروق الأوضاع واختلاف الصيغ وأنواع الأبنية، واستقصى لذلك يستظهر به عليهم أو ينتحله فيهم ؛ أو يجعل لها عندهم شأناً ، أو يبغيها حاجة من الحاجات الباعثة عليها؛ فليس إلا أن يكون ما خُص به النبى ﷺ من ذلك قد كان توفيقاً وإلهاماً من الله، أو ما هذه سبيله، مما لاننفذ فى أسبابه، ولا نقضى فيه بالظن فقد علمه الله من أشياء كثيرة ما لم يكن يعلم ؛ حتى لا يعيا بقوم إن وردوا عليه، ولا يحصر إن سألوه ، ولا يكون فى كل قبيل إلا منهم ؛ لتكون الحجة به أظهر ، والبرهان على رسالته أوضح، وليُعْلَمَ أن ذلك له خاصة من دون العرب، فهو يفى بهم فى هذه الخصلة البينة، كما يفى بهم فى خصال أخرى كثيرة. » [2]

فهذه واحدة، وأما الثانية فقد كان ﷺ فى اللغة القرشية التى هى

---

١ – قلنا على ذلك الوجه ؛ لأن قريشا كانوا أهل تجارة وكانوا يضربون فى الأرض ولهم رحلة الشتاء والصيف ثم كانت تتوافى إليهم قبائل العرب فى الموسم وتختلط بهم فى الأسواق وخاصة فى عكاظ فلابد أن يكون فى ألسنتهم كثير من ألفاظ العرب ولكن هذا غير ما نحن فيه فإن رسول الله ﷺ كان يخاطب كل قوم بالغريب فى لغتهم. وكان أصحابه لايفهمون أكثر ذلك. (الرافعى ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص ٢٢٢).

٢– مصطفى صادق الرافعى ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص ٢٢١ .

أفصحُ اللغات وألينها، بالمنزلة التى لايدافع عليها، ولا ينافس فيها وكان من ذلك فى أقصى النهاية ، وإنما فضلهم بقوة الفطرة واستمرارها وتمكنها مع صفاء الحسّ ونفاذ البصيرة واستقامة الأمر كله، بحيث يصرف اللغة تصريفاً ، ويديرها على أوضاعها، ويشتق منها فى أساليبها ومفرداتها مالا يكون لهم إلا القليل منه ؛ لأن القوة على الوضع والكفاية فى تشقيق اللغة وتصاريف الكلام، لاتكون فى أهل الفطرة مزاولة ومعاناة، ولا بعد نظر فيها وارتياض لها، إنما هى إلهام بمقدار، تهيىء له الفطرة القوية، وتعين عليه النفس المجتمعة والذهن الحاد والبصر النفّاذ ، فعلى حسب ما يكون للعربى فى هذه المعانى ، تكون كفايته ومقدار تسديده فى باب الوضع .

وليس فى العرب قاطبةً من جمع الله فيه هذه الصفات ، وأعطاه الخالص منها، وخصه بجملتها، وأسلس له ماخذها، وأخلص له أسبابها كالنبى ﷺ فهو اصطنعه لوحيه، ونصبه لبيانه، وخصه بكتابه، واصطفاه لرسالته؛ وماذا عسى أن يكون وراء ذلك باب الإلهام وجمام الطبيعة وصفاء الحاسة وثقوب الذهن واجتماع النفس وقوة الفطرة ووثاقة الأمر كله بعضه إلى بعض » [1] .

ويقول الرافعى أيضا :

« ولا يذهبنّ عنك أن للنشأة اللغوية فى هذا الأمر ما بعدها، وأن أكبر الشأن فى اكتساب المنطق واللغة ، للطبيعة والمخالطة والمحاكاة ، ثم ما يكون من سمو الفطرة وقوتها فإنما هذه سبيله : يأتى من ورائها وهى الأسباب إليه .

---

١ – المصدر السابق ص ٢٢٣ .

وقد نشأ النبى ﷺ وتقلب فى أفصح القبائل وأخلصها منطقا، وأعذبها بيانا، فكان مولده فى بنى هاشم ، وأخواله فى بنى زهرة، ورضاعه فى سعد بن بكر، ومنشؤه فى قريش، ومتزوجه فى بنى أسد ، ومهاجرته إلى بنى عمرو ، وهم الأوس والخزرج من الأنصار، لم يخرج عن هؤلاء فى النشأة واللغة؛ ولقد كان فى قريش وبنى سعد وحدهم ما يقوم بالعرب جملة، ولذا قال ﷺ : « أنا أفصح العرب ، بيْدَ أنى من قريش، ونشأت فى بنى سعد بن بكر »[1] وهو قول أرسله فى العرب جميعا ، والفصاحة أكبر أمرهم والكلام سيد عملهم، فما دخلتهم له حمية ، ولا تعاظمهم، ولا ردوه، ولا غضوا منه ، ولا وجدوا إلى نقضه سبيلاً ، ولا أصابوا للتهمة عليه طريقاً ، ولو كان فيهم أفصح منه لعارضوه به، ولأقاموه فى وزنه ، ثم لجعلوا من ذلك سبباً لنقض دعوته والإنكار عليه، غير أنهم عرفوا منه الفصاحة على أتم وجوهها وأشرف مذاهبها، ورأوا له فى أسبابها ما ليس لهم ولا يتعلقون به ولا يطيقونه، وأدنى ذلك أن يكون قوى العارضة، مستجيب الفطرة، مُلهَمَ الضمير متصرفَ اللسان، يضعه من الكلام حيث شاء ؛ لا يستكره فى بيانه معنى، ولا يند فى لسانه لفظ ، ولا تغيب عنه

---

١ – همْ بنو سعد بن بكر ، وكانوا من العرب الضاربة حول مكة، وكان أطفال القرشيين يتبدون فيهم وفى غيرهم يطلبون بذلك نشأة الفصاحة، ولا يزال كبراء مكة إلى اليوم يرسلون أحداثهم إلى أماكن هذه القبائل من البادية، وخاصة إلى قبيلة عدوان فى شرق الطائف وهى قريبة من بنى سعد، وإنما يطلبون بذلك إحكام اللهجة العربية، وصحة النشأة ، وحرية النزعة، وما إليها مما هو الأصل فى هذه العادة يتوارثونها فى التربية العربية من قديم . وبنو سعد هؤلاء، غير بنى سعد بن زيد مناة بن تميم الذين من لغتهم إبدال الحاء هاء لقرب المخرج، وليست لغتهم خالصة فى الفصاحة.

والرواة جميعاً على أن بنى سعد بن بكر خصوا من بين قبائل العرب بالفصاحة وحسن البيان . (الرافعى – إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص ٢٢٣).

لغة، ولا تضرب له عبارة ، ولا ينقطع له نظمٌ، ولا يشوبه تكلف ولا يشق عليه منزعٌ، ولا يعتريه ما يعترى البلغاء فى وجوه الخطاب وفنون الأقاويل ، من التخاذل ، وتراجع الطبع، وتفاوت ما بين العبارة والعبارة، والتكثر لمعنى بما ليس منه ، والتحيف لمعنى آخر بالنقص فيه ، والعلوّ فى موضع والنزول فى موضع ، إلى أمثال أخرى لا نرى العرب قد أقروا له بالفصاحة إلا وقد نُزِّهَ ﷺ عن جميعها، وسَلِمَ كلامه منها ، وخرج سبكه خالصا لا شوب فيه ، وكأنما وضع يده على قلب اللغة ينبض تحت أصابعه. ولو هم اطلعوا منه على غير ذلك ، أو ترامى كلامه إلى شيء من أضداد هذه المعانى ، لقد كانوا أطالوا فى رد فصاحته وعرضوا ، ولكان ذلك مأثورا عنهم دائراً على ألسنتهم ، مستفيضا فى مجالسهم ومناقلاتهم، ثم لردوا عليه القرآن ولم يستطع أن يقوم لهم فى تلاوته وتبيينه، ثم لكان فيهم من يعيب عليه فى مجلس حديثه ومحاضرة أصحابه ، أو ينتقص أمره ويغض من شأنه، فإن القوم خُلّص لا يستجيبون إلا لأفصحهم لساناً ، وأبينهم بيانا ، وخاصة فى أول النبوة وحدثان العهد بالرسالة، فلما لم يعترضه شيء من ذلك ، وهو لم يخرج من بين أظهرهم، ولا جلا عن أرضهم، ورأينا هذا الأمر قد استمر على سنته واطرد إلى غايته، وقام عليه الشاهد القاطع من أخبارهم ، علمنا قطعا وضرورة أنه ﷺ كان أفصح العرب ، وافيا بغيره، كافيا من سواه، وأنه فى ذلك آية من آيات الله لأولئك القوم ، و ﴿ **كذلك يبيّن الله آياته للناس لعلهم يتقون** ﴾ [1]. البقرة آية ١٨٧ .

١ - مصطفى صادق الرافعى ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص ٢٢٤ .

أحاديث الأمثال نوع من أنواع الحديث النبوى :

الذى يليق بالذكر عند تناولنا للأحاديث النبوية التى أطلقنا عليها «الأمثال » على معنى أنها كل حديث يكون أوله لفظ : مِثْل أو مَثَل، وتركنا باقى الأحاديث التى هى أيضا من الأمثال ولكنها جاءت بأداة أخرى للتمثيل أو التشبيه كحرف الكاف أو كأن أو غيرهما كما فى قوله صلى الله عليه وسلم (الدال على الخير كفاعله)، أننا سوف نتعرض لدراسة هذه الأمثال التى جاءت على صورة التشبيهات بلفظ (مثل) على أنها جزء من علم البيان : « وهو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بتراكيب مختلفة فى وضوح الدلالة على المقصود ، بأن تكون دلالة بعضها أجلى من بعض، وموضوع علم البيان ؛ هو اللفظ العربى من حيث وضوح الدلالة على المعنى المراد . وغرضه : تحصيل ملكة الإفادة بالدلالة العقلية ، وَفَهْم مدلولاتها. وغايته : الاحتراز من الخطأ فى تعيين المراد ، ومبادئه؛ بعضها عقلية ، كأقسام الدلالات والتشبيهات والعلاقات ، وبعضها وجدانية ذوقية كوجوه التشبيهات، وأقسام الاستعارات وكيفية حسنها [1] ، فنحن إذن نختار من علم البيان وجوه التشبيهات لأن تلك الأحاديث التى سوف نفرد الكلام عنها هى من ذلك النوع لا من غيره . وقد تم اختيارنا لها من كتاب جمع الجوامع المعروف بالجامع الكبير للإمام جلال الدين السيوطى (ت ٩١١ هـ) .

---

١ – محمد صديق حسن القنوجى ، غصن البان المورّق بمحسنات البيان ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م). من ص ١٠.

المثل فى البيان النبوى * :

يطلق المثل على التشبيه المركب الذى تُشبَّه فيه الأحوالُ والهيئاتُ بما هى له شبِّهٌ ليتقرر أمر الأولى بقياسها على الأخرى، وقد يصحب التعبير لفظ (المثل) للإشارة إلى هذا القصد، وقد يزاد ليدل على إرادة الإيضاح لفظ (الضرب) سابقا لفظ (المثل) كما جاء فى القرآن الكريم : ﴿ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء ..﴾ وكما ورد فى الحديث : (إن الله تعالى ضرب مثلا صراطا مستقيما على كتفى الصراط داران ـ وفى رواية سوران ـ لهما أبواب مفتحة، على الأبواب ستور، وداع يدعو على رأس الصراط ، وداع يدعو فوقه، والله يدعو إلى دار السلام ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم) [1] .

كما يطلق المَثَل على صورة المشبه به المركب تُنتَزع من قصة ماضية، فتُحكى عند حاضر يشبهها من الأحوال والهيئات ويسمى استعارة تمثيلية لعدم الجمع بين طرفين اكتفاء بالعبارة المنقولة كقوله عليه السلام : (إن المُنبَتّ لا أرضاً قطع ولا أرضاً أبقى) .

وقد « عرَّفَ المَثَل المبرِّد فقال : المثل مأخوذ من المثال وهو قول سائر شُبه به حال الثانى بالأول ، والأصل فيه التشبيه .

وقال فيه النظّام : يجتمع فى المثل أربع لاتجتمع فى غيره من الكلام، إيجاز اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه ، وجودة الكناية ، فهو نهاية البلاغة .

وقال ابن المقفع : إذا جُعِلَ الكلام مثلاً كان أوضح للمنطق ، وآنق

---

* راجع : د/ عز الدين على السيد ، الحديث النبوى من الوجهة البلاغية ص ١٧٧ .

للسمع ، وأوسع لشعوب الحديث » [1] .

وإذا كان الأصل فى المثل هو التشبيه فإنه يتعين علينا أن نعلم :

ماذا قال البلاغيون فى التشبيه ؟

إن لقاءنا مع طائفة الأمثال التى اخترناها من الحديث النبوى لن يكون إلاّ بعد أن ننظر نظرات فى نوع البيان الذى سوف نتكلم عنه وهو التشبيه لأن الأحاديث التى سنتعرض لها كلها تدخل فى هذا الباب ، وقبل أن نورد هذه الأحاديث التى تضوع بأريج النفحات الزكية، وما يترقرق على ألفاظها الكريمة من نور وألَقٍ ، ينبغى أن نتعرف على درس التشبيه وما قاله البلاغيون فى شأنه . فماذا قالوا ؟ .

قالوا :

التشبيه هو : « الدلالة على مشاركة أمر لآخر معنى ، بحيث لايكون على وجه الاستعارة » [2] . وله طرفـان : هما : المشبه والمشبه به ، ووجـه وأداة .

كقولنا : زيد كالأسد فى الشجاعة

وذكر الطرفين واجب البتة ، بخلاف الوجه والأداة .

وطرفاه : أى المشبه والمشبه به .

إما حسيّان ؛ أى المنسوبان إلى الحس ؛ كالخد والورد فى تشبيه أحدهما بالآخر. والريق والشهد ، والجلد الناعم والحرير .

---

١ – نهاية الأرب ٢ / ٣ .

– (نقلا عن الحديث النبوى من الوجهة البلاغية) للدكتور عز الدين على السيد – جامعة الأزهر. سنة ١٣٦٩ هـ ص ١٧٨) .

٢ – مستخلص من كتاب خلاصة المعانى . للحسن بن عثمان بن الحسين المفتى (ت ١٠٥٩) بتحقيق ودراسة د/ عبد القادر حسين . طبعة دار الاعتصام ، من ص ٣١٦ وما بعدها بتصرف .

نجد ذلك واضحا فى قوله تعالى ﴿ والقمر قدّرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ﴾ يس ٣٩ .

وقوله تعالى : ﴿ وله الجَوارِ المنشآت فى البحر كالأعلام ﴾ الرحمن ٢٤

وقوله تعالى ﴿ كأنهم أعجاز نخلٍ خاوية ﴾ القمر ٧ .

ومن تشبيه الحس بالحس فى أحاديثه صلى الله عليه وسلم ما جاء عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : « أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبى وقال : كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل » [1].

والغريب وعابر السبيل لايتعلقان فى دار الغربة بما يثقلهما عن السفر، أو يعوقهما عن المضى، من المآرب الحسية أو المعنوية، زاهدان فى أكثر مما يبلغهما المحل من زاد وثوب ومركب ، لأن فى الزيادة مغرما يشق عليهما وإنما يحرص على مثل ذلك المقيم .

هذه حال يعرفها ابن عمر، ويعرفها كل الناس ، لأنها من المقرر المحس والمكرر المعلوم، والرسول صلى الله عليه وسلم يطلب من صاحبه عبد الله أن يكون فى الدنيا شبيها بالغريب أو عابر السبيل فى عدم التعلق بما يثقله من متاعها الخادع الذى يعوق همته، ويشغل قلبه عما هو أحق ، إذ الدنيا طريق غربة يفضى بكل نفس إلى دار إقامة وقرار .

ولما كنا فى الدنيا وجدنا، وعلى آثار آبائنا درجنا ، وجعل الله لنا فيها تملكا يباح ، وأوطانا تصان ، وعنها يدافع ، لم يظهر معنى الغربة للإنسان فى داره ، ولذا كانت البلاغة النبوية تقتضى فى التشبيه وضع الأداة

---

١ – تيسير الوصول ١/٤٣ . نقلا عن د/ عز الدين على السيد ، الحديث النبوى من الوجهة البلاغية ص ١٣٧ .

(كأن) لحمل حال بحاجة إلى أن تتقرر على أخرى مقرَّرة معلومة، وهذه العبارة أقرب إلى طبيعة الناس والحياة مما لو كانت العبارة: أنك فى الدنيا غريب أو عابر سبيل) ، لأن العبارة الأولى تجعله مشبهاً للغريب ، فتعطيه حق المقيم لعمارة الدنيا فى قصد وعرفان غاية، والثانية تنزع هذا الحق فتصرفه صرفاً وتجعله سفيهاً فى تشبثه به ، مهما كانت العلاقة بينه وبينه .

وهذه الصورة التشبيهية تترك خيال ابن عمر وخيالنا يصور لنا أوصاف الغريب وعابر السبيل عند وقوفنا من الدنيا على نوافذ الآمال وأبواب المطامع فتحد من جموحنا الشارد ، أو تورطنا المهلك ، وعند نظرنا إلى ما تعودت الأقدار أن تسلبه منا ، فلا نحزن لفقده حزن الهالكين، كما توحى إلينا فى سعة أن خلوداً فى دار ثانية ينتظر خطونا ويعقب غربتنا ، وأنه أولى بنا أن نتزود له من هذه الغربة بما لابد منه هنا ، لأنه سبب السعادة هناك[١] .

أو عقليان : كالعلم والحياة فى تشبيه أحدهما بالآخر ، والجهل والموت .

كقولك : العلم حياة ، والجهل موت.

وكقول شوقى فى مديح الرسول صلى الله عليه وسلم :

والجهل موتٌ ، فإن أوتيت معجزةً

فابعث من الجهل أو فابعث من الرَّجَمِ

الرجم : الموت ـ والشاهد فى تشبيه الجهل بالموت فكلاهما معقول .

ومن تشبيه العقلى بالعقلى :

قول رسول الله ﷺ : « الاستغفار مهدمة للذنوب » ، وفيه تشبيه

---

١ – عز الدين على السيد ، الحديث النبوى من الوجهة البلاغية ص ١٣٨ .

الاستغفار (عقلى) وهدم الذنوب (عقلى) ووجه الشبه هو الإزالة .

أو مختلفان : بأن يكون المشبه عقليا والمشبه به حسياً :

كالمنية والسبع. وكتشبيه الحجة بالنور الذى هو محسوس، وتشبيه العدل بالقسطاس .

« ومن تشبيه المعقول بالمحسوس قوله تعالى ﴿ **والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً** ﴾ النور ٣٩

فقد شبهت الأعمال وهى (معقولة) بالسراب وهو (محسوس) يترائى للبصر: ووجه الشبه بطلان الأثر مع شدة الحاجة إليه ولو قال (يحسبه الرائى) لم يقع موقع قوله (الظمآن) لأن الظمآن أشد فاقة إلى الماء » [(١)].

وإذا كان تشبيه الحسى بالحسى يقرر المضمون ، ويؤكد اللازم على ماعلم بالأمثلة السابقة – فإن إخراج المعانى العقلية فى صورة الحسى أشد تمكينا لها فى النفس وتقريرا فى البيان، لأنها بذلك الوجه تتشخص وتتجسم ، حتى تقع تحت الحاسة وقوعا خياليا ، يظل يدور بها فى مدار المعرفة حتى تأنس وتسكن ، وهذا الضرب من البيان هو أوسع أضرب التشبيه استعمالا، لأنه أتمها فائدة . وألصقها بحاجة الإنسان إلى نقل محصوله من المعانى ، ليتصورها المخاطبون على شكلها عنده، وهنا نضرب الأمثلة للفصاحة المحمدية فى استعمال هذا الضرب الناصع من التشبيه[(٢)] :

---

١ – د/ العمارى ؛ أسرار البيان ؛ الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٤١٣ – ١٩٩٢ – ص ٣٣ .

٢ – راجع : د/ عز الدين على السيد ، الحديث النبوى من الوجهة البلاغية ص ١٤٦.

من مختار الرضى فى (المجازات النبوية) : قوله صلى الله عليه وسلم: « العلم خليل المؤمن . والحلم وزيره، والعقل دليله، والعمل قَيِّمه ، واللين أخوه ، والرفق والده ، والصبر أمير جنوده »[1] .

وهذه الملكات والصفات والقوى النفسية أمور معنوية، يريد عليه الصلاة والسلام أن يؤكد وظائفها، ويقرر مزاياها فى حياة الإنسان، فيشخصها تشخيصاً يعطيها الحياة والحس والإرادة ؛ فلا تدرك من بعد إدراك المعقول المجرد، على نوع من الخفاء والقصر ؛ وإنما تدرك من قرب إدراك المُحَس المُشاهَد، المحدد العمل، سواء أدركت أفراداً أو مجتمعة فى نظام مملكة مدبرة، وجميع التشبيهات المتلاحقة المسماة بالمفروق، قد ذُكِرَت دون الأداة زيادة فى تأكيد مدلولها ، وحملا على تصور اتحاد الطرفين فى كل منها . أما الوجه فى الربط بين هذه المعانى والكيفيات النفسية وبين ما شبهت به فنكتفى فيه بتوجيه الرِّضِى الذى يقول : فالمراد بقوله عليه الصلاة والسلام : « العلم خليل المؤمن» أنه يأنس به من الوحشة ، ويسكن إليه فى الوحدة، كما يأنس الخليل بخليله، ويسكن الحميم إلى حميمه، والمراد بقوله عليه الصلاة والسلام : « والحلم وزيره» أنه يقوى به على الأمور، ويؤازره على كظم المكروه، والمراد بقوله عليه الصلاة والسلام : «والعقل دليله ، أنه بالعقل يهتدى فى ظلم المشكلات ، وينجو من مضايق الغمرات ، فهو كالدليل الذى يرشد فى المضال ويجنب عن المزال، والمراد بقوله عليه الصلاة والسلام : « والعمل قَيِّمه » أن العمل يثقّف ميله ، ويقوم زلله، ويسدّ خلله، فهو كالقيّم الذى يأتى لمصالح ما

---

١ – المجازات النبوية ٢٤٩ وما بعدها . نقلا عن د/ عز الدين على السيد ، كتاب الحديث النبوى من الوجهة البلاغية ص ١٤٦ إلى ص ١٤٨ .

يقوم عليه ، ومراشد ما يوكل إليه، والمراد بقوله عليه الصلاة والسلام: «واللين أخوه» أن اللين يفيده مؤاخاة الإخوان ومخالصتهم، ويحفظ عليه صفاءهم ومودتهم ، فجعله عليه الصلاة والسلام أخاه من حيث كان سبباً لاجتلاب الإخوان إليه ، حفظ المودات عليه، والمراد بقوله عليه الصلاة والسلام : «والرفق والده» كالمراد بقوله « واللين أخوه » لأن الرفق يقبل إليه بالقلوب، ويظأر عليه كوامن الصدور ، فيصير كل واحد فى الحنو عليه والميل إليه كالوالد الرؤوف ، والجد العطوف ، والمراد بقوله عليه الصلاة والسلام ، «والصبر أمير جنوده » أن الصبر ملاك أمره وشداد أزره، وبه تُبلغ الآراب ، وتُدرك المحاب ، فهو كأمير جنده الذى يقوى به على أعدائه ويصل به إلى أغراضه وطَلِباته، وقد يجوز أن يكون المراد أن الصبر رأس خلاله، ورئيس خصاله، فهو متقدم عليها، وكالأمير لسائرها ، كما أن الأمير متقدم على رعيته، وله شأن على من فى طبقته [1].

أو يكون المشبه حسيا والمشبه به عقليا :

« وهو على خلاف الأصل ـ لأنه إذا كان الغرض من التشبيه الإيضاح، وكان إدراك النفس للمحسوس أقوى من إدراكها للمعقول ، لأن الحواس نوافذ الإدراك ، وإذا كان ذلك كان المحسوس هو الأولى بأن يجعل مشبها به، ولكن قد يبالغ المتكلم فى ظهور المعقول ووضوحه فيشبهه به ، وعلى ذلك جاءت من هذا النوع تشبيهات رائعة كقول أبى بكر الخالدى :

وقد فضح الظلماءَ برقٌ كأنه

فؤاد مشوقٍ مولعٍ بخفوقِ

١ - د/ عز الدين على السيد ، الحديث النبوى من الوجهة البلاغية ص ١٤٨.

فقد شبه البرق فى إشراقه ولمعانه واضطرابه بقلب مشتاق إلى أحبابه شديد الخفوق، فهو مع ما يضيئه من إشراقات النفس مولع بالخفقان والشعراء يدّعون أن فؤاد العاشق مضىء ، وفؤاد غير العاشق مظلم، كما قال الشاعر :

ولقد ذكرتُكِ والظلامُ كأنّه   يوم النّوى ، وفؤادُ من لايعشقُ

وهو كذلك من تشبيه المحسوس بالمعقول »[1] .

وما وقع فى الأشعار من تشبيه المحسوس بالمعقول فوجهه أن يقدر المعقول محسوساً ويجعل كالأصل للمحسوس على طريق المبالغة فيصح التشبيه كقول أحدهم :

صَفَتْ ، وَصَفَتْ زجاجتُها عليها   كمعنًى دَقّ فى ذهنٍ لَطيفِ[2] .

ووجهه أى وجه التشبيه : ما يشتركان فيه، أى المعنى الذى قصد اشتراك الطرفين فيه، وذلك الاشتراك قد يكون تحقيقا أى موجودا فى المشبه والمشبه به بلا تأويل .

نحـــو : زيد كالأسد

فإنهما يشتركان فى الوجود والجسمية والحيوانية وغير ذلك من المعانى ـ مع أن شيئا منها ليس وجه التشبيه . فالمراد المعنى الذى له زيادة اختصاص بهما، وقُصِدَ بيان اشتراكهما فيه : كالشجاعة فى الأسد والنور فى الشمس[3] .

---

١ – د/ العمارى ، أسرار البيان ، ص ٣٩ .

٢ – فخر الدين الرازى،محمد بن عمر (ت ٦٠٦هـ) ـ نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز ص ١٣٢ ـ بتحقيق د/ أحمد حجازى السقا ـ المكتب الثقافى للنشر والتوزيع سنة ١٩٨٩م.

٣ – المفتى ، خلاصة المعانى ، ص ٣٢٠ .

وأما الأداة : أداة التشبيه : فمنها الكاف كما فى قوله ﷺ : «أصحابى كالنجوم الزواهر» ، ومنها كأنّ كما فى قولنا : « كأنّ زيداً أخوك » ومنها لفظ « مثل » كقولك زيد مثل الأسد وما فى معناه مما يشتق من المماثلة والمشابهة ومما يؤدى به لهذا المعنى ، يعنى « زيد يشبه أو يماثل الأسد » ، ....وهكذا .

والكاف يليها ـ فى الغالب ـ المشبه به وكأنّ يليها ـ فى الغالب المشبه ـ ، وكأن أقوى وأبلغ فى الدلالة على إلحاق المشبه فى المشبه به فهى إما تستعمل حيث يقوى الشبه حيث يخيل للرائى أن المشبه هو المشبه به ولذلك قالت بلقيس كما حكاه القرآن ﴿ قال نكّروا لها عرشها ننظر أتهتدى أم تكونَ من الذين لايهتدون ، فلما جاءت قيل أهكذا كان عرشك قالت كأنه هو ﴾ [1] وإنما كان هو فعلاً ، فلشدة الشبه فى نظرها استعملت (كأن) [2] . وربما دخلت الكاف على مثل فاجتمعت أداتا التشبيه كما فى قوله تعالى ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ .

وقد يأتى التشبيه ضمنيا أو مُكنّياً عنه حيث لاتوجد به أداة ولا مشبه أو مشبه به صراحة وإنما يكنى عنه كما فى قول المتنبى :

فإن تَفُقِ الأنَامَ وأنْتَ مِنْهم ... فإنّ المِسْكَ بعضُ دَمِ الغَزَالِ

فالشاعر لما ادّعى أن الممدوح فاق الناس حتى صار أصلا برأسه وجنساً بنفسه، وكان هذا فى الظاهر كالممتنع ، أى لاستبعاد أن يتناهى بعض أجساد النوع فى الفضائل الخاصة بذلك النوع إلى أن يصير كأنه ليس

---

١ - سورة النمل : آية ٤٢ .

٢ - د/ على محمد حسن العمارى ، أسرار البيان ، ص ٢٥ ـ الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

منها احتج لهذه الدعوى وبيّن إمكانها ؛ بأنها شبّه حاله بحال المسك الذى هو من الدماء ، ثم لايُعَدّ مِنْها ؛ لما فيه من الأوصافِ الشريفة التى لاتوجد فى الدم[1] .

** ** **

التشبيــه البليغ [2]

١ – إذا حذف من التشبيه أداته سمى تشبيها بليغا نحو قول الشاعر :

عَزَماتهم قُضُب وفَيْضُ أكفهم ... سحبٌ وبيضُ وجوههم أقمار

حيث شبه الشاعر عزائم ممدوحيه بالقضب فى صلابتها، وكَرَمهم بأنه كالسحب فى هطولها، ووجوههم البيضاء بأنها أقمار منيرة، فجمع بين صلابة العزيمة، والندى، والجمال بلا أدوات تشبيه .

٢ – ومن التشبيه البليغ ما أضيف فيه المشبه به إلى المشبه نحو قول الشاعر:

ثوب الرياء يشف عما تحته ... فإذا اكتسيت به فإنك عارِ

حيث جعل الرياء كالثوب الذى يشف عما تحته، فأضاف المشبه به الذى هو الثوب إلى المشبه الذى هو الرياء .

٣ – ومن أنواع التشبيه البليغ أن يكون المشبه به مصدرا مبنيا للنوع كما فى مثل قوله تعالى ﴿ **وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب**﴾ أى تمر كمر السحاب .

---

١ – الحسن بن عثمان بن الحسين المفتى ، خلاصة المعانى ، ص ٣٤٣.
٢ – د/ مصطفى الصاوى الجوينى ، البيان فن الصورة، ص ٣٤ ـ دار المعرفة الجامعية ـ اسكندرية سنة ١٩٩٣م. بتصرف قليل .

٤ – ومن التشبيه البليغ تشبيه الاستغناء : وهو أن يستغنى عن المشبه به لوجود المشبه به كقول الشاعر :

إن بيتا أنت ساكنه غير محتاج إلى السُّرُجِ [١] .

فكأنه قال أنت كالنور فلا يحتاج منزلك إلى سراج .

أغراض التشبيـــــه

وللتشبيه أغراض كثيرة منها :ـ

١ – **بيان إمكان المشبه** : وذلك حين يسند إليه أمر مستغرب لاتزول عند غرابته إلاّ بذكر شبيه له، والأصل أن يكون الغرض من الكلام عائدا للأصل كبيان إمكانه، يعنى بيان أن المشبه به أمر ممكن الوجود ، وذلك إذا كان أمرا غريبا يمكن أن يخالف فيه ويُدّعى امتناعه كما فى قول أبى الطيّب المتنبى السابق :

فإن تَفُقِ الأنامَ وأنتَ منهم فإنّ المسكَ بعضُ دَمِ الغزالِ

فالشاعر أراد أن يقول : الممدوح فاق الأنام بحيث لم يبق بينهم وبينه مشابهة أو مقاربة ، بل صار أصلا بنفسه وجنسا برأسه . وهذا ـ فى الظاهر ـ كالممتنع. فإنه بعيد أن يتناهى بعض آحاد النوع فى الفضائل الخاصة بذلك النوع ، إلى أن يصير كأنه ليس من ذلك النوع. فلما قال :

فإن المسك بعض دم الغزالِ

فقد احتج لدعواه بأن المسك قد خرج عن صفة الدم وحقيقته ، حتى

---

١ – محمد صديق حسن خان القنّوجى (ت ١٣٠٧هـ) غصن البان المورّق بمحسنات البيان ص ١٨ دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧ – ١٩٨٧م.

لايعد في جنسه ـ إذ لايوجد في الدم شيء من الصفات الشريفة التي هي للمسك[1] .

٢ - **بيان حالة المشبه** : وذلك حين يكون المشبه غير معروف الصفة قبل التشبيه، فيفيده التشبيه الوصف : كقوله تعالى :

﴿ والذين يدعون من دونه لايستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه ﴾ .

٣ - **بيان مقدار حالته** : وذلك حين يكون المشبه معروف الصفة قبل التشبيه معرفة إجمالية وكان التشبيه يبين مقدار هذه الصفة . كما في تشبيه الثوب الأسود بالغراب في شدة السواد .

٤ - **تقرير حال المشبه** : كما إذا كان ما أسند إلى المشبه يحتاج إلى التثبيت والإيضاح بالمثال ، كتشبيه من لايحصل من سعيه على طائل بالراقم على الماء، كما لو كنت على طرف نهر وقت إخبارك صاحبك بأنه لايحصل من سعيه على شيء ، ثم أخذت ترقم عليه وقلت : «هل أفاد رَقْمي على الماء نقشا ما ؟ » إنك في سعيك هذا كرقمي على الماء » . فإنك تجد لتمثيلك هذا ضربا من التقرير والتأثير زائدا على القول والنطق المحسوس يفيد زيادة قوة، لأن الإلف بالحسيات أتم منه بالعقليات[2] .

٥ - **تزيين المشبه أو تقبيحه** : كما في قول المتنبي :

وإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

---

١ - انظر : خلاصة المعاني ص ٢٤٣ .
وانظر أيضا : نهاية الإيجاز في دراية الاعجاز ص ١٥١ ، ١٥٢ .
٢ - الحسن بن عثمان بن الحسين المفتي ، خلاصة المعاني ص ٣٤٤ .

وكقول أعرابي في ذم امرأته :

وَتفْتحُ ـ لاكانت ـ فَماً لو رأيته
تَوهَّمْتَه بَاباً من النار يُفْتَحُ

المبالغة فى التشبيه :ـ

وقد يقصد الشاعر على عادة التخييل أن يوهم فى الشىء القاصر عن نظيره أنه زائد عليه وحينئذٍ يجعل الفرع أصلاً . ويشبه الزائد بذلك الناقص ويكون الغرض بالحقيقة هو إعلاء شأن ذلك الناقص أى هو بالغ إلى حيث صار أصلاً للشىء الكامل : كقوله :

وبدا الصباح كأن غرته   وجه الخليفة حين يمتدح

فهذا على أنه جعل وجه الخليفة كأنه أعرفُ وأشهرُ وأتمُ وأكملُ فى النور والضياء من الصباح. فاستقام له ذلك بحكم النية : أى جَعْلُ الصباح فرعا ووجه الخليفة أصلاً ... فهو يوقع فى نفسك المبالغة من حيث لاتشعر بها ويفيدُكها من غير أن يظْهر ادعاؤه لها لأنه وضع كلامه وضع من يقيس على أصل متفق عليه لاينكره أحد[1] .

ثم إن التشبيه ليس من المجاز فى شىء ، لأنه معنى من المعاني وله حروف وألفاظ تدل عليه . فإذا صُرِّح بذكر الألفاظ الدالة عليه وضْعاً : كان الكلام حقيقة . فإذا قلت : زيد كالأسد ، « وهذا الخبر كالشمس فى الشهرة » و « له رأى كالسيف فى المضاء » لم يكن منك نقل للفظ عن موضعه فلا يكون مجازاً[1] .

---

١ – فخر الدين الرازى ، نهاية الايجاز فى دراية الإعجاز، ص ١٥٤، ١٥٥ .
٢ – المصدر السابق ص ١٥٥ .

الفرق بين التشبيه والتمثيل

يقول عبد القاهر الجرجانى :

« اعلم أن التشبيه عامِ والتمثيل أخص منه، فكل تشبيه تمثيل وليس كلُّ تمثيلٍ تشبيها ؛ فأنت تقولُ فى قول قيسٍ بن الخطيم [1] :

وقد لاح فى الصبح الثريا لمن رأى ** كعنقود مُلاحِيَةٍ [2] حين نوّرا

إنه تشبيه حسن ولا تقول هو تمثيل. ولكن إن قلت فى قول ابن المعتز[3] :

اصبر على مضض الحسو ... د فإن صبرك قاتله
فالنار تأكل نفسها ... إن لم تجد ما تأكله

إنه تمثيل ؛ فمثل الذى قُلت ينبغى أن يقال . لأن تشبيه الحسود إذا صُبِرَ عليه وسكتَ عنه وتُرِكَ غيظه يتردد فيه بالنار التى لاتمد بالحطب حتى يأكلَ بعضها بعضاً ، مما حاجته إلى التأويل ظاهرة بينة ، فقد تبين وجه الفرق بين التشبيه والتمثيل[4] .

يقول الدكتور عثمان موافى :

ومرد هذه التفرقة فى رأى عبد القاهر الجرجانى إلى وجه الشبه، فهو فى التشبيه أمر واضح بيّن، بينما هو فى التمثيل غير واضح ويحتاج لضرب من التأويل العقلى كى يتضح للأذهان .

١ – شاعر جاهلى عاش فى المدينة ـ ولكن فى المعجم الوجيز نسب هذا البيت لأبى قيس ابن الأسلت، هذا والتمثيل عند عبد القاهر ما كان وجه الشبه فيه عقليا . والتشبيه أعم من ذلك .

٢ • الملاّحى ؛ بضم الميم وتشديد اللام وتخفيفها هو عنب أبيض طويل .

٣ – ابن المعتز من أعلام الشعراء العباسيين (٢٤٧ – ٢٩٦ هـ) تولى الخلافة يوما وليلة ومات مقتولا فى بغداد وله كتاب « البديع » .

٤ – عبد القاهر الجرجانى ، أسرار البلاغة ج ١ / ٢٠١ .

ويمكننا القول بأن الجرجانى يرى أن وجه الشبه فى التشبيه حسى، بينما هو فى التمثيل عقلى. وهو ينفرد بهذا الرأى عن آراء كثيرة من النقاد البلاغيين الذين سبقوه والذين أتوا من بعده. فبعضهم لم يفرق بين التشبيه والتمثيل واعتبرهما فنا بلاغيا واحداً . على حين فرّق بعضهم بينهما معتبرا التشبيه هو ما كان وجه الشبه فيه مفردا سواء كان عقليا أم حسيا. أما التمثيل فهو ما كان وجه الشبه فيه منتزعا من أمور متعددة. وهذا على العكس مما يذهب إليه ناقدنا » (١).

إلاّ أننا إذا دققنا النظر وأعملنا الفكر فسوف نجد أن كلاً مصيب فى رأيه بحسب ما يأتى به من الشواهد ؛ وكلام عبد القاهر الجرجانى أقرب إلى الصواب ؛ يقول :

ومن التمثيل أيضا قول صالح بن عبد القدوس :

وإنّ مَنْ أدّبته فى الصبا　　كالعود يُسقَى الماءَ فى غرسه

حتى تراه مورقا ناضرا　　بعد الذى أبصرتَ من يبســه

فقد مثل هيئة الصلاح الناجم عن الرعاية للصبى وتأديبه ، بهيئة الصلاح الناجمة عن مراعاة العود فى غرسه والعناية به ، فى أن كليهما يظهر عليه الأثر الحسن الناشيءعن الرعاية فذلك تمثيل واضح (٢).

التشبيه والتمثيل (٣)

يقول الدكتور / عبد الرازق فضل :

اللغة العربية لاتفرق بين التشبيه والتمثيل فالشبه بفتح الشين والباء والشبه بكسر الشين وسكون الباء والشبيه كالمثل والمثل والمثيل وزنا ومعنى .

١- د/ عثمان سليمان موافى؛ دراسات فى النقد الأدبى العربى ص ١٧٠ وما بعدها. دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية الطبعة الثالثة سنة ١٩٩٩م.

٢ - عبد القاهر الجرجانى؛ أسرار البلاغة ج ١ / ٢٠١ وما بعدها .

٣ - د/ عبد الرازق محمد محمود فضل - من طرائق البيان ص ١٠٣ - مطبعة الأمانة - شبرا القاهرة - الطبعة ١٩٩٠م.

وقد سار على هذا الفهم اللغوى الإمام الزمخشرى صاحب الكشاف فسوى بينهما فى البلاغة فالتشبيه والتمثيل عنده بمعنى واحد ولا حرج على الإنسان ـ عنده ـ بين أن يقول هذا تشبيه أو تمثيل فكلاهما صواب.

ولكن العلماء غير الزمخشرى كان لهم نظرة أخرى تفرق بين التشبيه وبين التمثيل والأساس الذى انبتت عليه هذه النظرة هو وضوح وجه الشبه أو خفاؤه . فإذا كان وجه الشبه أمرا بيناً بنفسه لايحتاج فيه إلى تأول وصرف عن الظاهر وكان واضحا يدرك من غير كَدّ ذهن وإعمال فكر . فالصورة تشبيه .

وإذا كان وجه الشبه أمرا يحتاج إلى تأول وصرف عن الظاهر وكان لايدرك إلا بتتبع لطيف ونظر ثاقب بسبب لطف موقعه فالصورة فى هذه الحالة تمثيل .

هذا الأساس الجميع غير الزمخشرى متفقون عليه ولكنهم رغم اتفاقهم على ذلك اختلفت وجهة نظرهم فى تحديد السبب الذى يؤدى إلى وضوح وجه الشبه وبساطته أو دقته ولطف موقعه .

التأكيد بالتشبيه والتمثيل :[1]

يقول الدكتور / عز الدين على السيد :

إن « التشبيه والتمثيل أداة فطرية لإظهار صورة ذهنية عند المتكلم لايرى التعبير عنها كافيا فى تصويرها ـ فى صورة أشد وضوحا، وأكمل أطرافا، يزيد قياسها بها ومطابقتها لها تقرير المعنى وتأكيد الدلالة ، فمن الأشياء المحدّث عنها ، ما يكفى اللفظ المجرد فى بيانه، والوصف القائم فى الدلالة به، ومنها مالا تكمل دلالته، ولا تتمكن فى النفس صورته، ولا

١ – د/ عز الدين على السيد / الحديث النبوى من الوجهة البلاغية ، ص ١٣٠ ، ص ١٣١ .

يملك الحس والوجدان مدلوله، إلا بإخراجه هذا المخرج التصويرى ، الذى تتعاون قوى النفس ـ من فكر وخيال معا ـ فى إحكامه وبث الحياة فيه، وليس التشبيه والتمثيل مختصا بلغة أو جيل أو فرد ، ولذلك قلنا : إنه أداة فطرية، وإنما يكتسب الاختصاص من المنهج أو الطابع أو دقائق السمات التى يمهر بها عند المنشئين حتى يمكن أن يوضع تحت عنوان كهذا فى الحديث عن بلاغتهم .

والبيان النبوى يضرب بسهم وافر فى هذا الميدان ، ويتخذ من التصوير بهذه الوسيلة أداة ناجحة فعالة للوصول إلى هدفه، من شغل الحس الظاهر والباطن، وامتلاك النفس بكل ما فيها، لأن هذه الوسيلة أقرب إليها، وهى بها آنس، ولها أميل، ولاسيما أن الرسالة التى جاء بها البيان النبوى تجديد للقيم، وتعديل للمفاهيم ، وتعريف بأنماط من المعانى ، لايسيغها العقل الدارج على ضدها، إلا مأخوذا بقهر العاطفة وتأثر الوجدان، يثنيانه ليعيد النظر ويختبر الدليل، وإنما يهزهما فيهز العقل ليخلى مكانه إلى مكان جديد ـ ذلك التصوير المقنع، الذى ينتجه المتكلم بكل قوى نفسه ، ليسكن أغوار نفس صاحبه ، وسنرى كيف استطاع عليه السلام أن يختص بالعصمة من الزلل فى استعمال تلك الوسيلة ، فلا نقد على تشبيه ولا إخفاق فى تمثيل . ولا جموح فى عبارة ، ولا إسفاف فى دلالة ، لأن شيئا من ذلك إنما يكون عند كذب العاطفة أو نقص الشعور ، أو التباس المعنى ، أو الجهل باللغة، وهو صلى الله عليه وسلم معصوم من ذلك وأمثاله مما يعوق الرسالة ويؤثر فى البلاغ [1] .

وسنعرض فيما يلى طائفة من الأمثال التى وردت فى أحاديثه صلى الله عليه وسلم ، والتى تبدأ بلفظ « مثل » من حيث هى روائع خالدة من البلاغة النبوية .

---

١ - المرجع السابق ص ١٣١ . وما بعدها .

الحديث الأول

عن أبى موسى الأشعرى قال : قال رسول الله ﷺ :

« **مَثَلُ القَلْبِ مَثَلُ الرِّيشَةِ تُقَلِّبُهَا الرِّيَاحُ بِفَلاَةٍ** » [1]. رواه ابن ماجه فى سننه .

قال الطيبى : المثل هنا بمعنى الصفة لا القول السائر. والمعنى : صفة القلب العجيبة الشأن، بمعنى أن القلب فى سرعة تقلبه لحكمة الابتلاء بخواطر، ينحرف مرة إلى حق، ومرة إلى باطل، وتارة إلى الخير، وتارة إلى الشر، « تقلبها الرياح بفلاة » . لفظ رواية أحمد : بأرض فلاة أى : بأرض خالية من العمران : فإن الرياح أشد تأثيرا فيها منها فى العمران . وجمع الرياح لدلالتها على التقلب ظهرا لبطن ، إذ لو استمر الريح لجانب واحد لم يظهر التقلب كما يظهر من الرياح المختلفة .

والمشبه هنا هو القلب ، **والمشبه به** هو الريشة المتقلبة بفعل الرياح، وكلاهما حسى ، **ووجه الشبه** هو التقلب والتغير لحالة القلب وهو أمر معنوى ظاهر جلى يستوى فى إدراكه العامة والخاصة .

** ** **

---

١ - الحديث فى سنن ابن ماجه ج ١ / ٣٤ رواه فى باب الإيمان بالقدر : عن أبى موسى الأشعرى. قال الصدر المناوى : سنده جيد، ولهذا رمز المصنف لحسنه، وظاهر صنيعه أنه لم يره لأعلا من ابن ماجه، ولا أحق بالعزو منه مع أن الإمام أحمد رواه أيضاً باللفظ المذكور : عن أبى موسى، ورواه البيهقى والطبرانى أيضا عن أبى موسى ، قال الحافظ العراقى : وسنده حسن .

الحديث الثانـى

عن الزهرى قال أخبرنى سعيد بن المسيب أن أبا هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« مَثَلُ المُجَاهد فى سَبِيلِ الله ـ والله أعلم بمَنْ يجاهدُ فى سبيله ـ كَمثلِ الصَّائمِ الدَّائمِ الذى لاَ يَفْتُر منْ صيامٍ ولاَ صَدقَةٍ حتى يَرْجِعَ، وتوكلَ اللهُ لِلمجاهِد فى سبيله إنْ توفّاه أنْ يُدْخلَهُ الجنّةَ، أوْ يُرْجعهُ سَالمًا مَعَ أجرٍ أوْ غنيمةٍ » [1]. رواه البخارى .

قال المناوى : أشار به إلى اعتبار الإخلاص وهى جملة معترضة بين ما قبلها وما بعدها ، وشبه حال الصائم القائم بحال المجاهدين فى نيل الثواب فى كل حركة وسكون، أو المراد به الذى لايفتر ساعة من صيام ولا صدقة ، فأجره مستمر، وكذا المجاهد لاتضيع لحظة بلا ثواب » [2].

وفى الحديث يبين الرسول ﷺ أن المجاهد فى سبيل الله **(مشبه)** كالصائم الذى يؤدى صلاته فى خشوع **(مشبه به)** **ووجه الشبه هنا هو** الأجر والثواب فكأنه قال أجر المجاهد فى سبيل الله وثوابه كأجر المسلم الصائم الذى يؤدى الصلاة المفروضة وصلاة النافلة بخشوع تامين، وأما الجملة الاعتراضية ـ والله أعلم بمن يجاهد فى سبيله ـ فإنها تفيد بأنه ليس كل المجاهدين يجاهد فى سبيل الله، وقد يَظْهَر للناس بعض من

---

١ – الحديث فى صحيح البخارى، باب : أفضل الناس مؤمن يجاهد بنفسه .... وفى جامع الترمذى، باب : ما جاء فى فضل الجهاد . وقال : حسن صحيح . وفى سنن النسائى، باب : ما تكفل الله لمن جاهد فى سبيله .

٢ – السيوطى ؛ الجامع الصغير ص ٣٠٧٧ .

يجاهد فى سبيل الله ولكنه ليس كذلك عند الله الذى يعلم السرائر وقد ورد فى حديث آخر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : (تكفل الله لمن جاهد فى سبيله لا يخرجه من بيته إلاّ جهادٌ فى سبيله وتصديق كلمته بأن يدخله الجنّة ، أو يرجعه إلى مسكنه الذى خرج منه مع ما نال من أجر وغنيمة) . فالجملة « لايخرجه من بيته إلاّ جهاد فى سبيله وتصديق كلمته » تكافىء معنى جملة (والله أعلم بمن يجاهد فى سبيله) وتفسرها . والجملتان تحملان معنى التنبيه على الإخلاص فى الغزو وأن الثواب إنما يكون لمن أخلص وقاتل لتكون كلمة الله هى العليا.

** ** **

الحديث الثالث

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال :

« مثَلُ المُؤمن كَمَثَلِ خامة[1] الزَّرْعِ منْ حيْثُ أتتْهَا الريحُ كفَتْهَا، فإذا سكَنَتْ اعْتَدلَتْ ، وكذلكَ المؤمنُ يُكفأ بالبلاَء، ومثَلُ الفَاجِرِ كالأرْزَة صَمّاءَ مُعْتَدلَةٍ حتى [يَقْصِمَهَا] الله ـ عز وجل ـ إذا شَاء»[2] .

« رواه البخارى »

فى هذا الحديث مثلان : مثل للمؤمن وآخر للفاجر (المنافق) ، وتشبيهان منتزعان من صور مركبة ، والمشبه به للمثلين الخامة وهى النبتة

---

١ – الخامة : الزرع أول ما ينبت على ساق واحد .

٢ – الحديث فى صحيح البخارى كتاب المرضى، رقم ٥٦٤٤ فى فتح البارى، وبرقم ٧٤٦٦ والحديث فى صحيح مسلم ـ باب : مثل المؤمن والمنافق والكافر .

الغضة الرطبة (مشبه به للمؤمن) والأزرة وهى شجرة الصنوبر العاتية الصلبة لاتميل ولا تنثنى ، (مشبه به للكافر) فإذا ما هبت الريح بما تتميز به من الهيجان والشدة، تمايلت الخامة كلما داهمتها الريح من يمين أو شمال أو فوق أو تحت حتى إذا سكنت الريح استقامت الخامة وعادت إلى حالة الاعتدال، أما شجرة الأرز فهى صماء صلبة لاتميل. وكلها صور منتزعة من البيئة التى يألفها الأعرابى، فهى ليست غريبة عليه، فهو يعرف أن الريح غير الرياح، فالريح يخشاها الإنسان على نفسه لشدتها وفى سورة الحاقة (بريح صرصرٍ عاتية ..) أما الرياح فهى مصدر للخير والتنسم .

وتأتى صورة أخرى هى الكَفْتُ ، وهو السوق الشديد، ومنه الكِفَاتُ وهو الموضع الذى يضَمه فيه الشيء ويُقبض، وفى التنزيل العزيز : ﴿ **ألم نجعل الأرض كفَاتا أحياءً وأمواتا** ﴾ أى ذات كفات للأحياء والأموات، يريد تكفتهم أحياءً على ظهرها فى دورهم ومنازلهم ، وتكفتهم أمواتا فى بطنها أى تحفظهم وتُحْرزهم [1] .

وأما قوله ﷺ : « وكذلك المؤمن يُكَفَّأُ بالبلاء » ، أى يتقلبه البلاء من كَفَأْتَ القِدْرَ إذا كَببْتَهَا لتفرغ ما يها واكتفأه مثل كفأه أى قَلَبَه وهو مكفوء أى مقلوب .

فكما تكفتُ الريحُ الزرعَ، يُكَفَّأُ البلاءُ المؤمن ، ووجه الشبه فى الحالين شدة الميل والتقلب التى تحدثه الريح للزرع والذى تحدثه الخطوب للمؤمن فإذا هدأت الريح استقام الزرع وإذا توقفت الخطوب (البلاء)

---

١ – لسان العرب لابن منظور فى كفت ـ وكفتها بتسهيل الهمزة المعنى : أمالتها .

استقام المؤمن وعاد إلى حالته الطبيعية وهى حالة اللين والاستقامة التى يتميز به المؤمن ويتميز به الزرع الغض . بعكس الفاجر العاتى الذى قد تطيح به الخطوب مثل الأزرة التى قد تطرحها الريح وتكسرها .

وهذا الحديث ـ تشبيه تمثيلى ـ **فالتشبيه** المذكور فيه تشبيه المحسوس بالمحسوس ، **أما وجه الشبه** فهو متعدد الصور حيث الريح العاصفة والزرع ـ وصورة المؤمن وهو يتكفأ بالبلاء، وصورة الفاجر العاتى الذى هو كالأزرة التى يقصمها الله أو يجتثها إذا شاء » ـ وذلك هو معنى التمثيل، وبعضها حسي وبعضها عقلى يدرك بالوجدان .

ومعنى الحديث ": أن المؤمن حيث جاءه أمر الله انطاع له فإن وقع له خير فرح به وشكر، وإن وقع له مكروه صبر ورجا فيه الخير والأجر، فإذا اندفع عنه اعتدل شاكرا . والكافر لايتفقد الله باختياره، بل يحصل له التيسير فى الدنيا ليتعسر عليه الحال فى المعاد، حتى إذا أراد الله إهلاكه قصمه فيكون موته أشد عذابا وأكثر ألماً فى خروج نفسه، كما قيل: المعنى أن المؤمن يتلقى الاعراض الواقعة عليه لضعف حظه من الدنيا فهو كأوائل الزرع شديد الميلان لضعف ساقه ، والكافر بخلاف ذلك "[١] .

** ** **

---

١ – ابن حجر العسقلانى ، فتح البارى ج ١١/ ٢٤٤ الحديث رقم ٥٦٤٣.

الحديث الرابع

عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ :

« مُثِّل ابْنُ آدَمَ، وإلى جَنْبه تسعةٌ وتسْعُونَ مَنيّةً، إنْ أخطأتْهُ المنَايَا ، وقَعَ فِي الهَرَمِ (*) حَتَّى يَمُوتَ » [(١)]. رواه الترمذى .

فى هذا الحديث يمثل لنا رسول الله ﷺ ابن آدم وكأنه محاط بسهام الموت إن نجا منها جميعا فإنه يقع فى الهَرم الذى يقود به إلى الموت فى النهاية . وصورة التشبيه هنا هى الموت المحتوم ووجه التشبيه منتزع من متعدد، حيث سهام المنايا الطائشة التى يهرب منها ابن آدم ، إلى أن يقع فى قيد الهرم الذى يظل أسيراً له حتى يقضى .

وكما يُفَسَّر القرآنُ بالقرآنِ، فإن الحديث أيضا يفسر بالحديث ، إذ جاء عن ابن مسعود أنه قال : خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا مربعاً وخَطَّ فى وسط الخط خطاً ، وخطَّ خارجاً عن الخطِّ خطا وَحَوْل الذى فى الوسط خطوطا فقال هذا ابن آدمِ وهذا أجله محيط به، وهذا الذى فى الوسط الانسانِ وهذه الخطوط عروضُه إن نجا من هذا ينهشه هذا، والخط الخارج الأملُ » .

فالحديث الثانى أوضح الصورة التشبيهية فى الحديث الأول لما رسمه رسول الله بيده من الخطوط التى تمثل المنايا المتربصة بابن آدم وأشار إليها

(*) الهرم بفتحات : الكبر .

١ – الحديث أخرجه الترمذى فى سننه ـ كتاب صفة القيامة ـ برقم ٢٤٥٦ : قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح غريب. وأخرجه كذلك فى « كتاب القدر » برقم ٢١٥ .

بقوله « إن نجا من هذا ينهشه هذا » ، فالمشبه فى هذا الحديث السابق ابن آدم ، والمشبه به كما يفهم من السياق ضمير بمعنى الذى ، وهو الانسان الذى يحيط به تسعة وتسعون منية ، ووجه الشبه مفصّل بمعنى أن ينظر فى أكثر من وصف واحد لشيء واحد أو أكثر، وهو هنا عروض المنايا ثم الوقوع فى الهرم . ووجه الشبه فى النهاية هو الأجل المضروب له .

** ** **

الحديث الخامس

عن أُبيّ بن كعب رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال :

« مثلي في النبيين كمثَلِ رجُلٍ بنى داراً فأحسنَهَا وأكملها وجمّلَهَا وترك فيها موضِعَ لَبِنَةٍ فجعلَ الناسُ يطوفونَ بالبناء ويعجَبُون منه ويقولون : لـوْ تمّ موضِعُ تلك اللّبِنَـةِ؛ وأنا فـي النبيين موضِعُ تلك اللّبِنَةِ »[1] .

رواه الترمذى

قال ابن حجر العسقلانى فى قوله (مثلى ومثل الأنبياء كرجل بنى دارا) ، قيل المشبه به واحد، والمشبه جماعة فكيف صح التشبيه ؟

---

١ – الحديث أخرجه الترمذى فى سننه فى (كتاب المناقب) فى فضل النبى ﷺ برقم ٣٦١٣ قال : قال أبو عيسى : هذا حديث حسن .

والحديث أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ـ مسند أبيّ بن كعب . وأخرجه مسلم فى كتاب « الفضائل » ، والبخارى فى كتاب المناقب برقم ٣٥٣٤ فى فتح البارى .

وجوابه : أن جَعْل الأنبياء كرجل واحد لأنه لايتم ما أراد من التشبيه إلا باعتبار الكل وكذلك الدار لاتتم إلا باجتماع البنيان ، ويحتمل أن يكون من التشبيه التمثيلى وهو أن يوجد وصف من أوصاف المشبه ويشبه بمثله من أحوال المشبه به، فكأنه شبّه الأنبياء وما بعثوا به من إرشاد الناس ببيت أسست قواعده ورفع بنيانه وبقى منه موضع به يتم صلاح ذلك البيت ، وزعم ابن العربى أن اللبنة المشار إليها كانت فى أس الدار المذكورة، وأنها لولا وضعها لانقضّت تلك الدار ـ قال : وبهذا يتم المراد من التشبيه المذكور[1] .

وقد روى البخارى هذا الحديث فى صحيحه فى باب « الرقاق» من طريق أبى موسى الأشعرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إن مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضِع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وُضِعتْ هذه اللَّبِنَة ؟ قال : فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين » .

« رواه البخارى فى باب خاتم النبيين الحديث رقم ٣٥٣٥ ـ فتح البارى»

وجاء فى تعليق بعض علماء الأزهر على هذا الحديث ما نصه «.......... فى حديث رسول الله بيان لمنزلته وأن رسالته ختمت رسالات الأنبياء السابقين فما كانت الرسالات لتختم من قبله، وما كان للرسالة أن تمتد من بعده. جاء الأنبياء من لدن آدم كل يضع لبنة فى بناء صرح الدين الإسلامى ولما قارب البناء درجة الكمال لفت الأنظار فأعاد الناس

---

١ – ابن حجر العسقلانى ، فتح البارى بشرح صحيح البخارى، ج ٧/ ٢٥١ الحديث رقم ٣٥٣٤ .

إليه النظرة بعد النظرة وارتدت نظراتهم معجبة بجمال البناء وبهائه عاتبة على النقص البادى فيه الذى إذا ما أكمل خلا البناء من أمارات النقص وزالت عنه أسباب العتب .

فانظر كيف صوّر الرسول الإسلام وأنه بناء متكامل له أعمدة وأركان ومظهر وقلب وأن الرسل ـ صلوات ربى وتسليماته عليهم أجمعين ـ كانوا بناة هذا الصرح الشامخ كل أتم ما شاء الله له أن يرسى قواعده ويبنيه وأن البناء ما كان ليتم ويظهر حسنه بدون رسالة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأن ختام الشيء يكون أنس العيْن به أكبر ونظراتها إليه أعمق .

فترى تشبيها المشبه فيه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يكمل رسالات الأنبياء قبله والمشبه به بناء بُنِىَ فأحسِنَ وجُمّل إلا موضع لبنة فى زاوية من زوايا البيت. ووجه الشبه : هو الهيئة الحاصلة من وجود شيء اكتملت له أسباب الجمال بعد النقصان » [1]. والمشبه كما ترى هيئة مركبة من أجزاء وكذلك المشبه به هو الآخر هيئة مركبة من أجزاء فالطرفان مركبان .

** ** **

١ – د / عبد الرازق محمد محمود فضل ؛ من طرائق البيان ـ مطبعة الأمانة شبرا القاهرة ص ٧٣، ٧٤ ، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠م.

الحديث السادس

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« مَثَلُ الصلَوات الخمْسِ، كمثَلِ نَهْرٍ جَارٍ عَذْبٍ على باب أحدِكم يَغْتسِلُ فيه كلَّ يومٍ خمس مراتٍ ، فما يُبقِى ذلك من الدَّنَسِ ؟ » .

رواية الإمام أحمد مسند جابر[1] .

هذا الحديث من نوع تشبيه الهيئات ـ فالهيئة الحاصلة من الصلوات فى تطهير المؤمن من الذنوب تشبه الهيئة الحاصلة من الطهارة والنظافة الناشئة عن الاغتسال، فقد استعمل البيان الكريم مسلك التشبيه التمثيلى كوسيلة من وسائل الإيضاح ، وفى هذا الحديث الشريف : « يريد عليه الصلاة والسلام أن يقرر لأمته فضيلة الصلاة ويؤكد أجرها ليصبروا عليها ، فمثل حال المؤمن الذى يعد نفسه للصلاة فيصليها، ثم يعد نفسه للصلاة فيصليها، حتى يتم فرض اليوم ، بحال المؤمن الذى يمر ببابه نهر فهو يغتسل فيه خمس مرات كل يوم ، والمماثلة بين الحالين مقصود منها إثبات الغاية التى هى جهتها؛ وقد جاءت للتقرير مصرحا بها على وجه التقابل ، فتكرار الصلوات يمحو الخطايا، كما أن تكرار الاغتسال لايبقى

١ - الحديث فى صحيح مسلم « كتاب المساجد» باب المشى إلى الصلاة بسنده : عن الأعمش : عن أبى سفيان : عن جابر وهو ابن عبد الله قال : قال : رسول الله ﷺ : « مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار غمر على باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات » قال : قال الحسن : « وما يبقى ذلك من الدرن » .

من الدرن شيئاً ، وهنا ينتقل المؤمن كلما توضأ ليصلى ، أو كلما سمع النداء إلى تصور نهر لايجهده بعده، إذ هو قريب ببابه، وتصور درن يؤذيه بقاؤه، إذ هو مشين فوق جسمه، وتصور اغتسال يورث النشاط ويزيل الدرن، فيرى نفسه مندفعا إلى الصلاة سعيدا بها لينقى مما يشينه. ويبرأ مما يثقله » [1].

ونجد فى تنكير كلمة نهر رقة وعذوبة إلى جانب استعمال حرف الجر (على) الذى يفيد قرب هذا النهر وملاصقته لباب المنزل الذى يسكنه المؤمن ، وما يشيعه الفعل المضارع (يغتسل) من الطمأنينة فى نفس المؤمن وتجدد الطهارة باستعمال الماء ليل نهار وما أضفاه لفظ (كل يوم) الذى يدل على الاستمرار وعدم الانقطاع ، دلالة على اتصال النعيم ودوامه .

ثم تأتى فى النهاية الجملة الاستفهامية فما يبقى ذلك من الدنس؟ إذ الاستفهام هنا غرضه البلاغى النفى بمعنى أن دوام الاغتسال لايدع شيئا من الدرن والوساخة على جسد المؤمن . والتى هى تشير فى الوقت نفسه إلى محو ما يكتسبه المؤمن من الخطايا والذنوب .

والمشبه هنا : الصلوات ، **والمشبه به** هو النهر الجارى **ووجه التشبيه** هنا هو الطهارة الحاصلة من أداء الصلاة فى تطهير الذنوب وأداء الاغتسال فى تطهير الجسد . وهى من تصوير العقلى بالحسى .

** ** **

---

١ – د/ عز الدين على السيد ، الحديث النبوى من الوجهة البلاغية ص ١٥٠ .

الحديث السابع

عن أبى بردة عن أبى موسى رضى الله عنه قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« مَثَلُ البيْتِ الذى يذكَرُ اللهُ فيه والبيْتِ الذى لايُذْكَرُ اللهُ فيه مثَلُ الحَيِّ والميِّتِ » [١]. رواه مسلم .

هذا الحديث من باب تشبيه الحسى بالحسى فالذى يذكر الله (مشبه حسى) وكذلك (الذى لايذكر الله مشبه حسى) ، والمشبه به حسى أيضاً وهو الحيّ للذاكر والميت للذى لايذكر ربه . ووجه الشبه هو النّماء وعدمه لكل من المشبّهين .

قال ابن حجر العسقلانى : إن الذى يوصف بالحياة والموت حقيقة هو الساكن لا السكن، وأن إطلاق الحيّ والميت فى وصف البيت إنما يراد به ساكن البيت فشبه الذاكر بالحيّ الذى ظاهره متزين بنور الحياة وباطنه بنور المعرفة، وغير الذاكر بالبيت الذى ظاهره عاطل وباطنه باطل، وقيل موقع التشبيه بالحي والميت بما فى الحيّ من النفع لمن يواليه والضر لمن يعاديه ، وليس ذلك فى الميت [٢] .

---

١ - رواه مسلم فى صحيحه فى كتاب (صلاة المسافرين وقصرها) باب استحباب صلاة النافلة فى بيته وجوازها فى السفر .

٢ - والحديث أخرجه البخارى فى صحيحه فى « كتاب الدعوات » باب : فضل ذكر الله ـ عز وجل ـ قال : حدثنا محمد بن العلاء ، حدثنا أبو أسامة : عن بريد بن عبد الله : عن أبى بردة : عن أبى موسى ـ رضى الله عنه ـ قال : قال النبى ﷺ : « مثل الذى يذكر ربه ، والذى لايذكر ربه مثل الحيّ والميت » .

الحديـث الثامـن

عن أبي موسى الأشعرى ـ رضى الله عنه ـ أنه قال ، قال رسول الله ﷺ : « **مثلُ المؤمنِ الذى يقرأ القرآن مَثَلُ الأُتْرُجة، ريحُهَا طيبٌ وطعمُهَا طيبٌ ، ومثلُ المؤمنِ الذى لايقرأ القرآن كمثلِ التمرة لا ريح لها وطعمُهَا حلوٌ. ومثل المنافق الذى لايقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيبٌ وطعمها مرٌ ، ومثل المنافق الذى لايقرأ القرآنَ كمثل الحنظلة ليس لها ريحٌ وطعمها مرٌ** » [1]. (رواه البخارى).

يقول الدكتور / سحلول (من علماء الأزهر الشريف)[2] في هذا الحديث النبوى الشريف يضرب النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ أربعة أمثال، مثلين للمؤمن ، ومثلين للمنافق، فالمثل الأول : هو المؤمن الذى يقرأ القرآن ويعمل بما فيه ، فهو فى أعلى المراتب والدرجات وقد شبهه النبى ﷺ بالأترجة، وهو نوع من الفاكهة لذيذ الطعم، طيب الرائحة، ومعروف عند العرب. وقد أتى النبى الكريم فى تشبيهه بما هو معروف فى بيئتهم ؛ حتى يُقَرِّب البعيد ويوضح الغامض ، ويصوره كأنه ملموس محسوس ، والتمثيل يكسب القول قوة، والمعنى روعة . والمثل الثانى ضربه النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ للمؤمن الذى لايقرأ القرآن ولكنه مصدق بما فيه،

١ – صحيح البخارى ـ باب الأطعمة .
وصحيح مسلم ـ باب فضيلة حافظ القرآن « كتاب صلاة المسافرين » ،
وسنن النسائى ج ٢ ص ٢٧٤ باب المسك .
وسنن أبى داود باب من يؤمر أن يجالس ؟ .

٢ – د/ محمد أحمد سحلول ، من بلاغة الحديث النبوى ج ١ / ٧٧ وما بعدها، دار الاعتصام ـ الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٦م.

وشبهه بالتمرة ، فباطنه جميل يشبه حلاوة التمر باعتبار وجود الإيمان فى قلبه، وأما الظاهر وهو طيب الرائحة فمفقود ، لأن التمر لاريح له .

وضرب النبى الكريم المثل الثالث للمنافق الذى يقرأ القرآن ولكنه لايعمل بما فيه ، فهو ضال لايهتدى بهدى الله ، وشبهه النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ بالريحانة وهو نبات طيب الرائحة، من أنواع الزهور يشبه الياسمين والورد وغيرهما ، فالريح طيب والطعم مر علقم ، وهذه المرارة إنما جاءت من النفاق. أما المثل الرابع فقد ضرب للمنافق الذى لايقرأ القرآن ولا يدرى ما فيه فهو فى أحط الدركات، وأشقى المنازل. وشبهه النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ بالحنظلة، والحنظل شجر مر خبيث الطعم، تعافه الإبل لمرارته وبشاعته، فهو خبيث الظاهر والباطن وهذا أشر أنواع النفاق ، أعاذنا الله منه .

ونلاحظ أن النبى ﷺ أتى بصور التشبيه كلها من البيئة العربية ـ الأترجة، التمرة، والريحانة، الحنظلة ـ وهذا لون من ألوان البلاغة حيث إنه أتى بما هو مأنوس مألوف . وبهذه الصور البلاغية يرشدنا رسول الله ﷺ إلى فضل تلاوة القرآن والعمل به والإكثار من تلاوته ليبقى قلب الإنسان مستنيراً بنور الله، مسترشداً بهديه وآدابه .

وصدق الله : ﴿ **لَوْ أنزلنا هذا القرآن على جبَلٍ لرأيتهُ خاشِعا متصدعا مِّنْ خشيةِ الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون** ﴾ .

كما جاء هذا الحديث فى سنن أبى داود عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن كمثل الأترجة، ريحها طيب وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذى لايقرأ القرآن كمثل التمرة ، طعمها طيب

ولاريح لها ، ومثل الفاجر الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة، ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل الفاجر الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ، طعمها مر ولا ريح لها، ومثل جليس الصالح كمثل صاحب المسك إن لم يصبك منه شيء أصابك من ريحه، ومثل جليس السوء كمثل صاحب الكير إن لم يصبك من شراره أصابك من دخانه » [١].

قال المناوى . الأترجة : هى شجرة جرمها كبير ومنظرها حسن صفراء تسر الناظرين ثم هى فى أجزائها تنقسم إلى طبائع قشرها حار يابس يمنع السوس من الثياب ولحمها حار رطب وحماضها بارد يابس يسكن غلمة النساء ويجلو اللون والكلف فهى أفضل ما وجد فى الثمار فى سائر البلدان وخص الإيمان بالطعم وصفة الحلاوة بالريح ؛ لأن الإيمان ألزم للمؤمن من القرآن لإمكان حصول الإيمان بدون القراءة والطعم ألزم للجوهر من الريح [٢].

وكما ترى فإن هناك عدة تشبيهات ، فالمؤمن الذى يقرأ القرآن (مشبه) ، والأترجة (مشبه به) وأداة الشبه (كمثل) الكاف ومثل معا لإفادة الصاق الصفة على التمام، ووجه الشبه هو الأثر الحاصل؛ ثم يجيء المثل للمؤمن الذى لايقرأ القرآن (مشبه) والتمرة (مشبه به) ولفظ التشبيه (كمثل) ـ ووجه الشبه هو الأثر الحاصل . ثم يأتى المثل للفاجر الذى يقرأ القرآن (مشبه) والريحانة (مشبه به) ووجه الشبه فى الأثر الحاصل. ثم يأتى مثل الفاجر الذى لايقرأ القرآن (مشبه) والحنظلة (مشبه

---

١ – الحديث فى سنن أبى داود ، باب من يؤمر أن يجالس ؟ وذكر لفظ (سواده) بدلا من (شراره) والحديث أيضا فى سنن النسائى فى كتاب الإيمان . مع إبدال لفظ « الفاجر» بلفظ المنافق .

٢ – السيوطى ، جمع الجوامع ، ص ٣٠٦٨.

به) ووجه الشبه هو الأثر الحاصل فى الطعم والرائحة، وهو يدل على خبث باطنه.

ثم يأتى مثل الجليس الصالح (مشبه) وصاحب المسك (مشبه به) والأداة (كمثل) حيث الكاف للتشبيه ومثل لالصاق الصفة ويكون وجه الشبه فى الأثر الحاصل وهو إصابة الخير.

وأخيرا يأتى مثل جليس السوء (مشبه) وصاحب الكير (مشبه به) ويكون وجه الشبه الجامع بينهما هو الأثر الحاصل من إصابة الشر وخبث الباطن .

وكل أنواع التشبيهات المذكورة من باب تشبيه المحسوس بالمحسوس . وصور التشبيه المذكورة فى الأترجة، والتمرة والريحانة والحنظلة كلها مألوفة لدى العرب فلا غرابة فى الألفاظ بل إن الترتيب المنطقى لها يفيد إصابة المعنى ووضوح الأمر كذلك فى صورتى التشبيه بين جليس الصالح وجليس السوء والمشابهة المعقودة لهما بصاحب المسك وصاحب الكير وما بينهما من الطباق المعنوى ووجهى الشبه فى الأثر الحاصل من إصابة الخير وإصابة الشر كل ذلك حقق روعة التصوير وأظهر تفوق الأداء ، وبلغ غاية الفصاحة. وأضاف علما جديدا تجده فى (ريحها طيّب وطعمها طيّب ، طعمها طيب ولا ريح لها ـ ريحها طيب وطعمها مر ـ طعمها مر ولا ريح لها) مما يدفع إلى طلب التأويل فهو يصح أن تؤلف فيه المؤلفات. ومنه نفهم معنى قوله تعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ...** ﴾ التوبة ٢٧ .

إذ قال ابن عباس : أعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير ، كما قال الحسن : من صافح مشركا فليتوضأ والجمهور على أن هذا على التشبيه

أى هم بمنزلة النجس أو كالنجس لخبث اعتقادهم وكفرهم بالله »[1] .

والحديث يدل على خبث باطن الفاجر الذى لايقرأ القرآن، فالكافر الذى لايؤمن بالله العظيم بلغ خبث باطنه حد النجاسة قياسا على معنى الحديث السابق .

** ** **

الحديث التاسع

عن أبى موسى عن النبى ﷺ قال : « مثل ما بعثنى الله به من الهُدَى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا ، فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكن الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى إنما هى قيعان لا تُمْسك ماءً ولا تنْبت كلأً . فذلك مَثَلُ من فَقهَ فى دين الله ونفعه ما بعثنى الله به فعلم وعلّم ، ومثل من لم يرفع بذلكَ رأساً ، ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به » . (رواه البخارى)

يقول الدكتور سحلول فى شرح هذا الحديث :

أشرقت شمس الإسلام على العالم، وانتقل بالبشر خطوات فسيحات إلى حياة مشرقة بالفضائل والآداب ، عامرةٍ بكل معانى الخير والهناء. واختلف الناس فى أمره ، فمنهم من هداه الله، فصدّق البشير النذير عليه الصلاة والسلام، ورأى فى هذا الدين الأمان فلزمه، ومنهم من أغفل الله قلبه، واتّبع هواه، فكذّب الهادىَ البشيرَ، وظل أمام هذا الدين فى أمرٍ مريج.

---

١ – الصابونى ، صفوة التفاسير ج ٢/ ٥٣٠ مكتبة الإيمان ـ المنصورة ـ الطبعة التاسعة .

وفى هذا الحديث النبوى يضرب النبى الكريم مثلا يشبّه فيه الهدى والعلمَ الذى أرسل به فى نقائه وعموم نفعه ووصوله إلى جميع المكلفين على سواء ، فينتفع به فريق ويضل به فريق ، بالغيث الكثير والنقى الذى ينزل طاهراً مطهراً على كل طبقات الأرض ، فتستفيد منه التربة الخصبة ، وتضيّعه التربة السبخة. وهو تشبيه تمثيلى ، تكوّن كلٌ من المشبه والمشبه به من صورة تركيبية ذات أجزاء، كما أن وجه الشبه فيه متعدد أيضاً . فكلاهما نازل من السماء، وكلاهما نقىّ طاهر، وكلاهما نافع مفيد ، وكلاهما عام وشامل ، وهو من تشبيه المعنوى بالحسّى . وفى قوله: « من الهدى والعلم » عطف المدلول على الدليل، إذ الهدى هو الدلالة الموصلة إلى المطلوب . والعلم هو المدلول، ، والمراد به : معرفة الأدلة الشرعية، واختيار لفظ الغيث من بين أسماء المطر، لأن الخلق مضطرون إليه حينئذ، كما أن وصفه بالكثير يؤكد ذلك . قال تعالى ﴿ وهو الذى ينزّل الغيثَ من بعد ما قنطوا وينشر رحمته ﴾ [1] . الشورى : ٢٨

كما أننا نجد أن الرسول الكريم يشبه من ينتفع بالهدى والعلم، وينفع بها غيره بالأرض الطيبة النقيةالتى تقبل الماء، فتنتفع به فتنبت ما ينفع الناس، وهو تشبيه تمثيلى أيضاً، وهو مرسل لذكر الأداة ومجمل لحذف الوجه.

وفى الحديث فضل العلماء العاملين الدعاة ومثلهم كمثل الأرض الطيبة التى تعطى الخير الكثير .

وفى هذا الحديث النبوى الكريم يبين الرسول ﷺ أن ما جاء به من الوحي فيه الدليل والمدلول معاً ، فيه الهدى والعلم ، فيه الحياة الحقيقية

١ – الشورى : ٢٨ .

لمن أرادها، فهو روح من أمر الله يحيى به موات القلوب ، كما يحيى الغيث موات الأرض .

وقد جاءت كلمة الأرض منكرة فى قول النبى الكريم : « كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً وذلك للتنويع ؛ لأن الأرض منها ما هو نقىّ خصيب طيب ومنها ما هو جدب أى ـ صلب لاينضب منه الماء .

وفى الحديث عطف الخاص على العام. يتمثل هذا فى قوله : «فأنبتت الكلأ والعشب»، إذ الكلأ يطلق على النبت الرطب واليابس معاً أما العشب فهو للرطب فقط. وهذا نسق قرآنى يقول تعالى : ﴿ تنزل الملائكة والروح فيها﴾ القدر ٤ ـ وبيانه ﷺ يعدّ أرفع بيان بشرى يترسم خطا القرآن، ويسير على هديه، ليس فقط فى مضمونه ومنهجه، وإنما أيضاً فى فن القول وبناء العبارة .

وفى الحديث تفصيل بعد إجمال فقوله ﷺ : « أصاب أرضاً » مجمل ، وقوله : « فكان منها نقية » إلى آخر الحديث تفصيل . وهذا أيضاً سمة من سمات البلاغة العربية .

وفى الحديث صورة تشبيهية لمن يعى العلم والهدى ولا ينتفع بهما، ولكنه ينتفع بهما غيره بالأجادب، وهى الأرض التى تمسك الماء ولا تنتفع به، وهو من التشبيه البليغ حيث حذفت الأداة ووجه الشبه، ولم يذكر فيه المشبه للعلم به. كما أن فى الحديث صورة تشبيهية أخرى لمن لم يع العلم ولم ينتفع به، ولم ينفع غيره بالقيعان التى لاتمسك ماء ولا تنبت كلأ. وفى قوله : « إنما هى قيعان » قصر موصوف على صفة ، لإبراز التفاهة والسفه فيمن لاخير فيه لنفسه ولا لغيره. وفى قوله : « ومثل من لم يرفع بذلك رأساً » كناية عن المتكبر المعرض عما جاء به الإسلام، وفى الكناية تلميح إلى ثقل الرءوس عن الخير بفعل الشيطان وفى الحديث حسن

تقسيم ولفٌ ونشر غير مُرتب وهما من فنون البديع. حيث من فقهَ فى دين الله هو الثانى ، ومن تفقه فعلِمَ وعلّم هو الأول، ومن لم يرفع بذلك رأساً هو الثالث .

** ** **

الحديث العاشر

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول :

« مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من ثُدُيهما إلى تراقيهما فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت أو وفرت على جلده حتى تخفى بنانه وتعفو أثره، وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئاً إلا لزقت كل حلقة مكانَها ، فهو يُوسعها ولا تتسع »[1] .(رواه البخارى) .

فى هذا البيان النبوى الكريم تمثيل للضدين البخيل الذى يعز عليه إخراج المال والمنفق الذى يمنح المال ويعطيه الفقراء والمساكين والمحتاجين، والتشبيه هنا بصورتين لرجلين يرتديان درعين من حديد ، فأما المنفق

---

١ – صحيح البخارى باب : مثل البخيل والمتصدق . والحديث فى سنن أبى داود باب : أى الصدقة أفضل بلفظ : أخبرنامحمد بن منصور، قال حدثنا سفيان : عن أبى جريج : عن الحسن بن مسلم : عن طاوس قال : سمعت أبا هريرة ثم قال : حدثنا أبو الزناد : عن الأعرج : عن أبى هريرة قال : قال : رسول الله ﷺ : « إن مثل المنفق والمتصدق والبخيل كمثل رجلين عليهما جبتان أو جنتان من حديد من لدن ثديهما إلى تراقيهما فإذا أراد المنفق أن ينفق اتسعت عليه الدرع، أو مرت حتى تجن بنانه، وتعفو أثره، وإذا أراد البخيل أن ينفق قلصت ولزمت كل حلقة موضعهاحتى إذا أخذته بترقوته أو برقبته» يقول أبو هريرة : أشهد أنه رأى رسول الله ﷺ يوسعها فلا تتسع قال طاوس : سمعت أبا هريرة يشير بيده وهو يوسعها فلا تتسع.

منهما فدرعه تتسع عليه وتنبسط على جسده فهى فضفاضة لينة، كلما انفق زادت وانبسطت حتى تخفى منه البنان وتعفو منه الأثر، فهى مريحة وواقية لما تغطيه من الجسد، وأما الصورة الأخرى المقابلة للصورة الأولى، فهى صورة البخيل الذى تتقلص عليه درعه، وتلتصق بجسده وتضيق عليه، بحيث إذا حاول أن يوسعها لاتتسع وفى ذلك تشديد عليه وعدم راحة له، لأنها تضيق عليه الخناق فلا يكاد يجد لها راحة بل تكون مصدر عذاب .

ولا يخفى على المرء مدى الضيق حين يلزق الحديد بجسم الإنسان فإنه يكون باعثا على الضجر، وإن كان درعا، وإن هذا التمثيل من شأنه أن يحفز المسلم إلى الرغبة فى الإنفاق لأن الدرع تحمى جسده من شر العدوان فى حين أن البخل يجعل من الدرع نفسها عاملا على ايقاع الأذى به بدلا من حمايته . وذلك من باب التشبيه العقلى بالحسى حيث الإنفاق والبخل عقليان والدرع حسية. ووجه الشبه هو الصورة المترتبة على كلا الحالين والتمثيل بذلك حامل للنفس على الإنفاق ودافع لها إلى المقارنة والنظر حتى لاتكون فى الهالكين .

وسوق هذا الحديث يدل على خبرة بملابس الحرب، فكأن المؤمن دائما فى حالة حرب مع نفسه الأمارة بالسوء والتى تدعوه دائما إلى التقتير والإمساك عن النفقة . فكيف يحارب وهو يعانى من درعه الضيقة التى تعيق تصرفه ثم هى فى النهاية تصرعه .

والحديث رواه البخارى أيضا من طريق : حكيم بن حِزَام ـ رضى الله عنه ـ أنه سِمع رسول الله ﷺ يقول : « مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتانِ من حديد، من ثديهما إلى تراقيهما . فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغَت ـ أَو وَفَرت ـ على جلده حتى تُخفِى بنانه وتعفو أثره . وأما

البخيل فلا يريد أن ينفق شيئاً إلا لَزَقت كل حلقة مكانها فهو يُوسعها فلا تتسع » .

ويقول الدكتور سحلول : [1]

الحقيقة التي يغفل عنها الناس أن الله هو واهب المال، وأنه يرزق عبده من حيث لايحتسب ، وأنه الآمر بالصدقة، وأنه هو الذى يثيب على الإعطاء بغير حساب، وأنه قادر على أن يخسف بالمال وبصاحبه الأرض . قال تعالى فى شأن قارون : ﴿ **فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين** ﴾ القصص آية ٨١ .

هذه الحقيقة التي يغفل عنها البخلاء، ويؤمن بها الأسخياء ، يبرزها الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى صورة محسوسة لزيادة الإيضاح ؛ وليتمكن المعنى فى النفس فضل تمكّن . فالنبى الكريم يصور لنا حالة السخىّ الجواد المنفق على نفسه وعياله والأقربين والفقراء فى سبيل الله بأن الله يوسّع عليه فى الدنيا ويستره فى الدارين، ويحميه من مصارع السوء فى الدنيا، ومن النار فى الآخرة بهيئة شخص يلبس درعاً من حديد يوسعه على نفسه حتى يغطى أطراف أصابع يديه ورجليه، ويزيد على الأرض. بهذا يكون فى سعة ويكون فى مأمن من أعدائه، ويكون مستور العورة فى الدنيا. على الجانب الآخر يصور لنا الرسول الكريم حال البخيل الذى لايؤدى حق الله فى ماله بأن الله يضيق عليه فى الدنيا ولو ضيقا معنويا ونفسيا ، ويفضحه بين الخلق فى الدنيا والآخرة ، ويعرّض نفسه لنكبات الزمان فى الدنيا وللنار فى الآخرة. يصوره بهيئة شخص التصق درعه فى أعلى صدره، ولا يستر جسده ، ينكشف أمام أعدائه، ويتعرض للأخطار. وبهذا يرغب الرسول الكريم أمته فى السخاء والإنفاق ، ويرهبهم من البخل والشحّ. كما أن فى الحديث تقسيماً يزيد الأسلوب قوة ورسوخاً وجمالا .

١ – د/ محمد أحمد سحلول ، من بلاغة الحديث النبوى ج ٢ / ١٥ وما بعدها .

﴿ مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد ﴾ فهما رجلان ولكلٍّ واحد جبة خاصة به وهي من حديد . وفي الحديث تيسير على المنفق ، وتعسير على البخيل مصداقا للحديث النبوى : « ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما : « اللهم أعط منفقاً خلفاً » ، ويقول الآخر : « اللهم أعط ممسكاً تلفاً » .

وصدق الله تعالى إذ يقول : ﴿ فأما من أعطى واتقى * وصدق بالحسنى * فسنيسّرُهُ لليسرى * وأما من بَخِلَ واستغنى * وكذّب بالحسنى * فسنيسرهُ للعُسْرى ﴾

الحديث الحادي عشر

عن ابن عُمَرَ ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال : « **إنما مَثَلُ صاحب القرآن كمثل صاحب الإبلِ المعقلة إن عَاهَدَ عيها أمسكها ، وإن أطلقها ذهبت** » . (رواه البخارى) .

يقول الدكتور / سحلول *

هذا الحديث النبوى يبين ما ينبغى لصاحب القرآن أن يأخذ به نفسه، عليه أن يقرأه فى ليله ونهاره، فى الصلاة أو فى غير الصلاة لئلا ينساه. يقول تعالى : ﴿ ورتل القرآن ترتيلا ﴾ [1] ويقول ﴿ سنقرئك فلا تنسى﴾[2] ، ﴿فاقرءوا ما تيسّر من القرآن ﴾[3] فطريق إمساك المسلم بما حفظ مداومة التلاوة. والنبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ يوضح ذلك المعنى بضرب المثل وتشبيه القرآن فى صدر حافظه بالإبل المقيدة، مادام القيد والتعاهد ظلت

---

١ – المزمّل : ٤ .
٢ – الأعلى : ٦ .
٣ – المزمّل : ٢٠ .

* راجع كتاب : من بلاغة الحديث النبوى ج / ٢ / ٧٨ وما بعدها .

وصاحب القرآن كذلك إن داوم على تلاوته واستذكاره ظلّ حافظاً ، وإن غفل عن تلاوته وأهمل قراءته نسى ما حفظه. وما أعظم مصيبة من حفظ آية ثم نسيها، وما أشد خسران من نسى القرآن بعد حفظه .

والغرض من ضرب المثل تقريب البعيد وتوضيح الغامض وتصويره كأنه محسوس ملموس . والتمثيل يكسب القول قوة، والمعنى روعة. والتشبيه الوارد فى كلام الرسالة تشبيه مركب، بتشبيه القرآن بالإبل ، وقارئه بصاحب الإبل، وتشبيه المذاكرة والتلاوة بمداومة العقل أى الربط ، والحفظ بالإمساك والنسيان بالإطلاق. ويصح أن يكون تشبيه **تمثيل**، أى تشبيه صاحب القرآن مع القرآن من حيث التعاهد أو عدمه بهيئة صاحب الإبل مع الإبل من هذه الحيثية بجامع الإمساك عند التعاهد والانفلات عند الإهمال. وتشبيه التمثيل أبلغ من غيره لما فى وجهه من التفصيل الذى يحتاج إلى إمعان فكر، وتدقيق نظر. وهو أعظم أثراً فى المعانى ، يرفع قدرها، ويزيد جمالها. فإن كان مدحاً كان أوقع، أو ذماً كان أوجع، أو برهاناكان أسطع . فمع جمال الأسلوب الحكيم ، وروعة التشبيه النبوى الكريم، يستروح المؤمن برد الإيمان واليقين، مع نسمات الرضوان تهب عليه وهو يتلو آيات القرآن الكريم. وهناك يخضع قلبه ، وتدمع عينه، ويشع من حوله النور والضياء ، وصدق الله تعالى : **﴿ قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء﴾**[1] .

١ - فصلت : ٤٤ .

الحديث الثاني عشر

عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

«مثل القائم على حدود الله، والمدهنِ فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة في البحر فأصاب بعضهم أعلاها، وأصاب بعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقال الذين في أعلاها لا ندعكم [1] تصعدون فتؤذونا!! فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا؟ فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً » . رواه الترمذى .

فى هذا الحديث قصة رائعة مفادها توطيد ركن هام من أركان الدين الحنيف، وهو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وأن هلاك المجتمع ونجاته إنما يتوقف على مدى تمكن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى نفوس الناس فيه .

« ولما كان البيان النبوى امتدادا وتبيانا للقرآن الكريم ، كان لذلك

١- الحديث أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ـ مسند النعمان بن بشير .

وأخرجه الإمام البخارى فى صحيحه فى « كتاب المظالم» باب : هل يقرع فى القسمة والاستهام فيه ؟ أخرجه بلفظ : « مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضها أسفلها... الحديث » من رواية النعمان بن بشير .

وأخرجه الإمام الترمذى فى سننه فى كتاب الفتن « باب : ١٢ منه أى : ما جاء فى تغيير المنكر ـ أخرجه من طريق أبى معاوية بلفظ : « مثل القائم على حدود الله والمدهن فيها ... » . الحديث .

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

النوع الأدبى فيه نصيب متميز، يعمق به النبى ﷺ طائفة من المفاهيم والقيم التى تعد من المسائل الكبرى فى النماذج الكلية من حياة الانسان .

والقصة النبوية فى عمومها لاتجنح إلى الخيال الشارد الجموح ولا للتعمق المفلسف الغامض، ولا للسطحية الفارغة الجوفاء المغطاة بقشرة خالية من بديع العبارة، وليست هى القصة التى وضع الغرب لها عشرات القواعد والشروط، ولكن هى القصة التى تقوم على سلامة فطرة القاص، وتكفى كل الكفاية فى تقرير الغرض، وتروع كل الروعة فى تسلسل الأحداث ولباقة الحوار وتصوير الأشخاص، وتنبع فكرتها من أجناس النفوس الكائنة الحية، فلاتعالج أنماطا منها فى عالم مجهول » [1] .

والحديث نوع من التشبيه التمثيلى الذى يصور العلاقة بين من يصدقون فى الإسلام ومن يخادعون فيه، وأنه لكى يستقيم أمر المجتمع ـ والدين بالجماعة ـ لابد من مؤاخذة الذين يفسدون فيه وإلا هلك القوم جميعا .

وتأتى القصة البليغة لتؤدى وجه الشبه فى نصاعة ووضوح، وأنه إما النجاة وإما الهلاك ويؤدى الحوار دورا هاما فى إصابة المعنى ، إذ هو يصور حال المدهنين الذين تصوروا أنهم بخرقهم للسفينة للحصول على الماء دون أن يؤذوا من فوقهم يحسبون بذلك أنهم يحسنون صنعا، وأن النتيجة فى النهاية تعم الجميع، فإن تركهم أهل الصواب ولم يأخذوا على أيديهم هلكوا معهم وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجا معهم أولئك المتنطعون .

والمبهر فى هذا التصوير الرائع أن النبى ﷺ لم يركب البحر، ولم يسبق له أن عمل فى السفن، ومع ذلك فقد أتى التعبير النبوى ليمثل

١ – د/ عز الدين على السيد ، الحديث النبوى من الوجهة البلاغية ٤٤١ – ٤٤٢.

الصراع بين قوى الخير والشر فى النفوس ، يزكى جانب الخير ويحث عليه عن طريق غير مباشر، وهو جزاء الباطل. والله سبحانه وتعالى(يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً) . والقصة بعد ذلك هى إلهام ربانى علمه الله نبيه صلى الله عليه وسلم .

وقد روى البخارى هذا الحديث عن النعمان بن بشير ـ رضى الله عنهما ـ عن النبى ﷺ أنه قال : « مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وأصاب بعضهم أسفلها. فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فآذوهم، فقالوا: لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً » .

يقول الدكتور / سحلول : * [1]

فى هذا الحديث النبوى أراد الرسول الكريم ﷺ أن يحدد الحرية الشخصية للفرد بما لايعقبه ضرر الجماعة، وهو مبدأ معروف فى جميع الشرائع الدولية. فلجأ إلى الصورة الأدبية لتلقى ضياءها الكاشف على هذه الحقيقة، فتصور سفينة تسبح بالناس فوق الموج، وقد أخذ كل راكب مكانه على حذر ، فجلس قوم فى الأعلى ، وجلس آخرون فى الأسفل يضطرون إلى الذهاب إلى الناحية الأخرى كى يستقوا من النهر، وعدّوا ذلك مشقة مرهقة ، ثم بدا لهم أن يخرقوا فى مكانهم خرقا ليصلوا إلى الماء مباشرة، وذلك موضع الخطر على الراكبين جميعاً .

---

١ – د/ محمد أحمد سحلول ، من بلاغة الحديث النبوى ج٢ / ١٣٣ وما بعدها .

فلا بد أن تهب الجماعة لدرء هذا الشر وإلا هلكوا جميعا . وفى الصورة الأدبية الرائعة تشبيه تمثيلى فى قوله : « مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا » وهذا التشبيه له تأثير فى النفوس عظيم؛ إذ هو كالبرهان الذى تثبت به الدعوى ، والحجة التى توجب الإذعان . كما أن فيه كناية فى قوله « وإن أخذوا على أيديهم » وهو معنى لطيف، وهو المنع بقوة ، وذلك بالأخذ على الأيدى التى تكون سببا فى إلحاق الضرر بالآخرين . كما أن الحديث يزينه طباق جميل، وهو محسّن بديعى فى قوله : « أعلاها ، وأسفلها» ، « القائم والواقع» والجمع بين الشىء وضده يوضح المعنى فى نفوس السامعين . إن هذا الحديث مثل رائع من روائع الحكم النبوية يضربه النبى الكريم لأولئك الذين أخطأوا الطريق، ففهموا الحرية فهما خاطئا ، ساروا فى هذه الحياة حسب أهوائهم وشهواتهم كما أنه مثل لأولئك الذين رأوا المنكر فسكتوا عليه ، وأغمضوا أعينهم عما يدور حولهم كأن الأمر لا يعنيهم، وظنوا فى أنفسهم الصلاح والفلاح .

فكل فرد مسئول ومكلف أن يرعى مصالح الجماعة كأنه حارس لها، وعليه أن يتحمل بعض المشاق الخاصة منعاً لضرر خطير يلحق بالجميع .

** ** **

الحديث الثالث عشر

عن أبى موسى الأشعرى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجلٍ استأجَرَ قوما يعملون له عملا إلى الليل، فعملوا إلى نصف النهار، فقالوا : لاحاجة لنا إلى أجرِك الذى شرطت لنا، وما عملنا فلك ، فقال لهم : لاتفعلوا. أكملوا بقيةَ عملكم وخذوا أجركم كاملا فأبوا وتركوا فاستأجر آخرين بعدهم ، فقال : اعملوا بقية يومكم ولكم الذى شرطت لهم من الأجر، فعملوا حتى إذا كان حين صلاة العصر، قالوا : لك ما عملنا ولك الأجر الذى جعلت لنا فيه، فقال : أكملوا بقية عملكم فإنما بقى من النهار شىء يسير، فأبوا فاستأجَرَ قوماً أن يعملوا بقية يومهم ، فعملوا بقية يومهم حتى حانت الشمس ، واستكملوا أجر الفريقين كليهما، فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور » [1]. (رواه البخارى) .

هذا الحديث كما ترى المشبه فيه هيئة مركبة من متعدد، وكذلك المشبه به ، وقد سيق مساق القصة الطريفة التى تجذب أسماع الناس وتوقظ أذهانهم وتشوق نفوسهم إلى تعقب النهاية والتماس النتيجة والمحصلة، والمحصلة فى الحقيقة هى وجه الشبه المتمثل فى أخذ الأجْر الذى هو النور.

قال ابن حجر العسقلانى معلقا على الحديث : اتفق أهل النقل على أن مدة اليهود إلى بعثة النبى ﷺ كانت أكثر من ألفى سنة، ومدة النصارى

---

١ - أخرجه البخارى فى صحيحه فى « كتاب الصلاة » باب من أدرك ركعة من العصر قبل الغروب . وفى فتح البارى حديث رقم ٨٥٥ ج ٢ / ٢٢٧ طبعة دار الفكر سنة ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

من ذلك ستمائة وقيل أقل ، فتكون مدة المسلمين أكثر من ألف قطعا وتضمن الحديث أن أجر النصارى كان أكثر من أجر اليهود عملوا نصف النهار بقيراط ، والنصارى بنحو ربع النهار بقيراط ، ولعل ذلك باعتبار ماحصل لمن آمن من النصارى بموسى وعيسى فحصل لهم تضعيف الأجْر مرتين ، بخلاف اليهود فإنهم لما بعث عيسى كفروا به، وفى الحديث تفضيل هذه الأمة وتوفير أجرها مع قلة عملها، وفى قوله : (فإنما بقى من النهار شيء يسير) إشارة إلى قصر مدة المسلمين بالنسبة إلى مدة غيرهم وفيه إشارة إلى أن العمل من الطوائف كان مساويا فى المقدار[1] .

ولعلنا نجد فى كلام ابن حجر : (وفى الحديث تفضيل هذه الأمة وتوفير أجرها مع قلة عملها) ما يتفق والحديث الخاص بالإسراء والمعراج من أن الله عز وجل حين فرض على أمة محمد ﷺ الصلاة، خمسين صلاة كل يوم وأخبره موسى عليه السلام بأن يسأل ربه التخفيف فاستجاب الله له بأن جعلها خمس صلوات فى اليوم والليلة وجعل لها أجر خمسين[2] .

---

١ - فتح البارى ج ٢ / ٢٢٧.

٢ - راجع ، ابن كثير الدمشقى ـ تفسير سورة الإسراء ـ الأحاديث الخاصة بالإسراء والمعراج ج ٣ ـ ص ٨، وما بعدها ـ نشر مكتبة الدعوة الإسلامية شباب الأزهر .

الحديث الرابع عشر

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« مثلى ومثل ما بعثنى الله به، كمثلِ رجل أتى قوما فقال : ياقوم إنى رأيت الجيشَ بعينى وإنى أنَا النذير العريانُ فالنجا النجا فأطاعه طائفة من قومه ، فأدلجوا وانطلقوا على مهلهم فنجوا ، وكذبته طائفة [منهم] فأصبحوا مكانهم فصبّحهم الجيشُ فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعنى فاتبع ما جئت به ومثل من عصانى وكذّب بما جئتُ بهِ من الحق »[1] . (رواه البخارى) .

هذا الحديث من نوع التشبيه التمثيلى ، وهو من حيث الحسية ؛ تشبيه حسي (المشبه هو النبى وما جاء به من الحق) بحسى آخر وهو النذير العريان ، أما وجه الشبه فهو مشترك بينهما (بين المشبه والمشبه به) وهو الدعوة إلى النجاة فمن لبى نجا ومن أعرض هلك .

وفى الحديث قصة، الغرض منها بيان الترغيب والترهيب فى أسلوب قصصى بليغ يوصل المعنى من أقصر سبيل وأوجز عبارة وأدق تمثيل .

ووجه الشبه كما هو واضح متعدد، وهذه الوجوه المتعددة كلها حسية للمبالغة فى التأثير، وكما نعلم فإن الحس هو ما يدرك بإحدى الحواس الخمس الظاهرة، أما العقلى فهو ما يدرك بالعقل المحض أو بالوجدان،

١ – الحديث أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه فى كتاب « الرقاق » باب : الانتهاء عن المعاصى ج ٨ ص ١٢٦ ط / الشعب ، والحديث أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه فى كتاب « الفضائل» باب « شفقته ﷺ على أمته ... إلخ » .

والقصة كلها تفى بذلك الحس من رؤية الجيش وهذا النذير العريان، وتلك الظلمة التى توحى بها كلمة أدلجوا والضوء الذى يدل عليه كلمة أصبحوا.

ويروى أن رجلا لقى جيشا فسلبوه وأسروه فانفلت إلى قومه فقال : إنى رأيت الجيش فسلبونى ، فرأوه عريانا فتحققوا صدقه، لأنهم كانوا يعرفونه ولا يتهمونه فى النصيحة ولا جرت عادته بالتعرى، فقطعوا بصدقه لهذه القرائن .

ولقد ضرب النبى ﷺ لنفسه ولِما جاء به مثلا بذلك لما أبداه من الخوارق والمعجزات الدالة على القطع بصدقة تقريبا لأفهام المخاطبين بما يألفونه ويعرفونه، ويؤيده ما أخرجه الرامهرمزى فى « الأمثال» من حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : (خرج النبى ﷺ ذات يوم فنادى ثلاث مرات : أيها الناس مثلى ومثلكم مثل قوم خافوا عدوًا أن يأتيهم فبعثوا رجلا يتريا لهم، فبينما هم كذلك إذ أبصر العدو فأقبل لينذر قومه فخشى أن يدركه العدو قبل أن ينذر قومه فأهوى بثوبه « أيها الناس أتيتم» ثلاث مرات . وأحسن ما فسّر به الحديث من الحديث[1] .



1 – ابن حجر العسقلانى ، فتح البارى بشرح صحيح البخارى، ج ١٣/ ١١٢، الحديث رقم ٦٤٨٢ .

الحديث الخامس عشر

عن جابر بن عبد الله ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ :

« مثلى ومثلكم كمثل رجل أوقد نارا، فجعل الفراش والجنادب* يقعن فيها وهو يَذُبّهن عنها، وأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تفلتون من يدى »[1] .رواه مسلم **

(وفى هذا الحديث « يقرر الرسول عليه السلام شدة حرصه على المؤمنين ورحمته بهم، وشدة جذب الشيطان وفتنته وطاعتهم له، فيضرب لحاله معهم مثلا، ولحالهم مثلا ويخرجهما فى تخييل حسى شهد حقيقته كل منهم : رجل استوقد نارا فشبت وأضاءت ما حوله ، فجذب الضوء الفراش والجنادب وغيرها مما تغريه النار على اقتحامها ، وأسرع إليها يقع فيها ، فأخذ يحاول إنقاذهن بنزعهن من النار فيغلبهن الحمق فيعدن إلى النار يقتحمون فيها .

إننا نتخيل هذه الصورة المكتملة الجوانب ، ونتمثلها أمامنا نابضة المشاهد أفعالا وحركات سريعة متلاحقة، وصراعا ومغالبة بين الهوى والهدى، وحرارة ولهيبا وأشعة وظلمة، ونتمثل ما وراء المحس من نوازع متقابلة، يدفع بعضها إلى الخير المنجى، والآخر إلى الشر المردى، فينتقل)

---

١ – أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ـ من حديث جابر بن عبد الله ج ٣ / ٣٩٢ . وأبو داود الطيالسى فى مسند فيما روى عن سعيد بن ميناء عن جابر برقم ١٧٨٤ .

* والجنادب جمع : جُندَب ؛ نوع على خلقه الجراد، يصر في الليل صرا شديدا أى يحدث صوتا عالياً .

** أخرجه مسلم فى صحيحه فى كتاب الفضائل باب « شفقته ﷺ على أمته .

إحساسنا إلى حالنا وحال النبى ﷺ ، فنرى أنفسنا فى صراع الهوى الغالب للهدى الرحيم ذلك الفراش الأحمق، الذى يضحى بالحياة فى اندفاع قاهر، ثمنا غالبا للامح براق ، فإذا اجتذبه المشفق الرؤوف إليه ضاناً بحياته، غلبه الهوى على نفسه فاقتحم المهالك ، وهنا نحاول أن نفهم هذه المفارقات ، وأن نقيس حركاتنا وأنفاسنا مع هذا الساهر الحريص ، فنرى كل كبيرة نارا تغرينا بالبريق، يصرعنا فيها الهوى ، ويجذبنا منها الرؤوف الرحيم : يأخذ بحجزنا مكررا الزجر، مقررا الحرمة، مؤكدا النداء، ما أشقانا وما أتعسنا حين نغلبه فنقتحم فى النار .

إن هذا التخييل الحسي لايبعد كثيرا عن الحقيقة، بل لايبعد قليلا عنها، أليست الذنوب والكبائر أسبابا توصل إلى النار ؟ إنها الضوء الكاذب الخادع يضعه إبليس عدو البشر على حافة النار ليجرفهم فيها، ثم ليست قلوبنا تتأثر من حين إلى آخر بالزاجر والرادع يكفينا ويجذبنا ؟ ذلك الآخذ بالحُجُز ، فيغلب الشيطان بخداعه منْ يغلب على المعصية، فذلك الاقتحام فى النار » (1) .

كما جاء فى الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« مثلى كمثل رجل استوقد نارا فلما أضاءت ما حولها ، جعل الفراش وهذه الدواب التى تقع فى النار يقعن فيها ، وجعل يحجزهن ويغلبنه فيقتحمْن فيها [فذلك مثلى ومثلكم أنا آخذ بحجزكم عن النار هلمّ عن النارِ ، هلُمّ عن النار، فيغلبونى فيقتحمون فيها] » (2) .

---

١ – د/ عز الدين على السيد ـ الحديث النبوى من الوجه البلاغية ص ١٥٦.

٢ – جمع الجوامع للسيوطى الحديث رقم ١٣٩٥ ـ ١٩٧٦٧ .

وفى رواية أبى هريرة توضيح للحديث السابق لزيادة قوله ﷺ : هلم عن النار .. هلم عن النار، فيغلبونى فيقتحمون فيها .

قال الطيبى : تحقيق التشبيه الواقع فى هذا الحديث يتوقف على معرفة معنى قوله تعالى ﴿ ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون ﴾ وذلك أن حدود الله محارمه ونواهيه ... فشبه ﷺ إظهار تلك الحدود ببياناته الشافية الكافية من الكتاب والسنة باستنقاذ الرجال من النار، وشبه فشوّ ذلك فى مشارق الأرض ومغاربها بإضاءة تلك النار ما حول المستوقد.

وشبه الناس وعدم مبالاتهم بذلك البيان والكشف ، وتعديهم على استيفاء تلك اللذات والشهوات ومنعه إياهم عن ذلك بأخذ حجزهم بالفراش التى تقتحمن فى النار وتغلبن المستوقد على دفعهن عن الاقتحام كما أن المستوقد كان غرضه من فعله انتفاع الخلق به من الاستضاءة والاستدفاء وغير ذلك، والفراش لجهلها جعلته سببا لهلاكها فكذلك كان القصد بتلك البيانات اهتداء الأمة واجتناب ما هو سبب هلاكهم ، وهم مع ذلك لجهلهم جعلوها مقتضية لترديهم » [١] .

« قال أبو بكر بن العربى : هذا مثل كثير المعانى ، والمقصود أن الخلق لا يأتون ما يجرهم إلى النار على قصد الهلكة، وإنما يأتونه على قصد المنفعة واتباع الشهوة كما أن الفراش يقتحم النار لا ليهلك فيها بل لما يعجبه من الضياء ، وقد قيل : إنها لاتبصر بحال هو بعيد، وإنما قيل إنها تكون فى ظلمة فإذا أرادت الضياء اعتقدت أنها كوة يظهر منها النور فتقصده لأجل ذلك فتحترق وهى لاتشعر [٢] .

---

١ - ابن حجر العسقلانى ، فتح البارى، ج ١٣ / ١١٥ طبعة دار الفكر بيروت .
٢ - المصدر السابق ج ٧ / ١٣٢ .

وقال الغزالي : التمثيل وقع على صورة الاكباب على الشهوات من الإنسان بإكباب الفراش على التهافت فى النار، ولكن جهل الآدمى أشد من جهل الفراش، لأنها باغترارها بظواهر الضوء إذا احترقت انتهى عذابها في الحال، والآدمي يبقى فى النار مدة طويلة أو أبداً والله المستعان » [1] .

فهذا الحديث من نوع التشبيه التمثيلي ، والتشبيه هنا طرفاه : (مثلي ومثلكم) ؛ ثم أتي بعد ذلك بصورة التمثيل التى تحكى لنا مشهد الرجل الذى أوقد النار فجعل الفراش والجنادب يقعن فيها وهو يذبهن عنها، تماما كشأن النبى مع الغوغاء من أمته الذين يتفلتون منه قاصدين اتباع شهواتهم التى تقودهم إلى النار فى نهاية الأمر. **ووجه الشبه يتبدى فى** صورة المنع الذى يحجز به النبى الناس عن الوقوع في النار كما يحجز الرجل الفراش والجنادب ويمنعها من السقوط فى النار ولكن هيهات . وهناك تشبيهات أخرى من حيث الفراش والجنادب يشير إلى أن من يتبعون شهواتهم التى تكون سببا فى دخولهم النار بتلك الفراشات ، وتشبيه هيئة اقتحام الناس الذين تغلبهم شهواتهم كهيئة اقتحام الفراش والجنادب للنار لحمقهن .

---

١ – فتح البارى بشرح صحيح البخارى، ج ٧/ ١٣٢ ـ طبعة دار الفكر ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٦ ـ ، الحديث رقم ٣٤٢٦ .

الحديث السادس عشر

عن أبى موسى رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال :

« مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد ، لا يعدمك من صاحب المسك إما تشتريه أو تجد ريحه، وكير الحداد يحرق بدنك أو ثوبك ، أو تجد منه ريحاً خبيثة » (١)

« رواه البخارى»

قال المناوى : رواه البخارى فى « البيع » : عن أبى موسى الأشعرى قال الراغب : نبه بهذا الحديث على أن حق الإنسان أن يتحرى بغاية جهده مصاحبة الأخيار ومجالستهم قال الحكماء : من صحب خيّراً أصاب بركته، فجليس أولياء الله لايشقى ، وإن كان كلبا ككلب أهل الكهف .

قال بعض العارفين : فى ضمنه إرشاد إلى الأمر بمجالسة من تنتفع مجالسته فى دينك من علم تستفيده، أو عمل يكون فيه، وأحسن خلقٍ يكون فيه، وأحسن خلّقٍ يكون عليه » (٢) .

والحديث فيه تمثيل متضادين ـ هما الجليس الصالح والجليس السوء، حيث جعل هذا فى مقابل هذا ـ وكلاهما مشبه، ثم جاء بالمشبه به المناسب للأول وهو (صاحب المسك) ثم بالمشبه به الملائم للثانى وهو (كير الحداد) ثم وجه الشبه المتمثل فى النفع الحاصل من الأول، والضرر

---

١ – الحديث فى صحيح البخارى ـ باب : المسك ـ ورواه مسلم أيضا .

٢ – السيوطى ؛ جمع الجوامع ، ص ٣٠٦٥ .

الحاصل من الثانى ـ فالمشبه والمشبه به حسيان ، ووجه الشبه معنوى مفصل منتزع من متعدد .

وهذا المعنى هو نفسه فى الحديث المروى عن أبى داود فى سننه [1] .

« عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال :

« مثل الجليس الصالح مثل العطار، إن لم يعط من عطره أصابك من ريحـه ، ومثل الجليس السوء مثل القيّن إن لم تحرِق ثوبك أصابك من ريحه » .

والقيّن : بفتح القاف هو الحداد .

---

١ - قال السيوطى فى جمع الجوامع ؛ الحديث فى سنن أبى داود « كتاب الأدب » باب: من يؤمر أن يجالس ؟ (راجع : السيوطى ، جمع الجوامع ص ٣٠٦٥) .

الحديث السابع عشر

عن أبى حُبيبة الطائى قال : أوصى إلىّ أخى بطائفة من ماله فلقيت أبا الدرداء فقلت : إن أخى أوصى إلىّ بطائفة من ماله فأين ترى لى وضعه فى الفقراء أو المساكين أو المجاهدين فى سبيل الله ؟ فقال : أما أنا فلو كنت لم أعدل بالمجاهدين سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **مثل الذى يعتق عند الموت كمثل الذى يهدى إذا شبع** » . « رواه الترمذى »[1] .

هذا الحديث فيه بيان صفة المنفق الذى أخر صدقته حتى أتاه مُفرِّق الجماعات وهازم اللذات، وفيه معنى الكراهية بتأخير الصدقة، فعلم ذلك من وصف رسول الله له بأنه كالذى يتصدق من طعامه بعد أن يشبع، وكان الأجدر به والأنفع له أن يتصدق قبل الموت .

وأما اختيار أبى الدرداء لتوجيه الصدقة إلى المجاهدين ، فرأيه فى هذا يجىء مطابقا للآية ﴿ **للفقراء الذين احصروا فى سبيل الله .....** ﴾

---

١ – جامع الترمذى ، أبواب الوصايا ـ ما جاء فى الرجل يتصدق أو يعتق عند الموت . الحديث رقم ٢١٢٣ طبعة الحلبى وقال : حسن صحيح .

والحديث فى سنن النسائى كتاب الوصايا ـ الكراهية فى تأخير الوصية ـ بلفظ: أخبرنا محمد بن بشار ؛ قال حدثنا : محمد قال : حدثنا شعبة قال: سمعت أبا إسحاق سمع أبا حبيبة الطائى قال :أوصى رجل بدنانير فى سبيل الله فسئل أبو الدرداء فحدّث عن النبى ﷺ : « مثل الذى يعتق أو يتصدق عند موته مثل الذى يهدى بعد ما شبع » .

والتمثيل الوارد فى الحديث من باب تشبيه الحسى بالحسى فكأنما قال : المتصدق عند الموت (مشبه) كالشبعان الذى يستغنى عن باقى طعامه (مشبه به) . ووجه الشبه يكون فى صورة الكراهية فى تأخير الوصية لكونها كالشيء المستغني عنه . وهو محذوف يقدر بقولنا «مستغنيا» .

قال الطيبى : فى هذا الإهداء نوع استخفاف بالمهدَى إليه [1] والأظهر أن المراد أنه مرتبة ناقصة لأن التصدق حال الصحة أفضل، كما أن السخاوة عند المجاعة أكمل .

الحديث الثامن عشر

عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحُمّى » [2]

« رواه مسلم» .

---

١ - المباركفورى ، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم (ت ١٣٥٣)، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى ج ٦ / ٣١٦ الحديث رقم ٢٢٠٦ نشر محمد عبد المحسن الكتبى صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .

٢ - الحديث أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ـ مسند النعمان بن بشير ـ والحديث أخرجه الإمام مسلم فى « كتاب البر والصلة » باب : تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم قال : حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير ، حدثنا أبى، حدثنا زكريا: عن الشعبى عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله ﷺ : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم ..» الحديث .

من أجمل التشبيهات التى تصور حال المؤمنين فى تحقيق المودة ، ذلك التشبيه الذى يصور ذلك التراحم بحالة الجسد الذى إذا اشتكى منه عضو شاركه سائر أعضاء الجسد فى الشكاية وإسداء الرعاية بالسهر والحمى حتى يبرأ هذا العضو ويصح . وهناك من أحاديثه صلى الله عليه وسلم ما يؤكد هذا التصوير كما فى قوله (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) وشبك بين أصابعه ﷺ . وكما فى قوله : (إن المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، يألم المؤمن لأهل الإيمان كما يألم الجسد لما فى الرأس) رواه أحمد بن حنبل وتفرد به ولا بأس باسناده[١] .

والتشبيه هنا تمثيلى حيث يشبه المؤمنين فى حال التواد والتعاطف بالجسد الواحد الذى يستجيب سائر أعضائه فتتألم كما يتألم الرأس أو كما يتألم أى عضو آخر، إنها صورة حية لإدراك هذا المعنى الجليل فى المجتمع الإسلامى، إنه الشعور بالتوحد وصدق الانتماء . فالأخ فى المجتمع الإسلامى يهتم بأمر أخيه ، يعنى بشأنه، ويتفقد أموره ويرشده إلى أقوم السبل ويقف بجواره إن حل به مكروه أو نزل به خطب، ولنتذكر ما كان من الأخُوَّة الصادقة بين صاحب الدعوة صلى الله عليه وسلم وصديقه أبى بكر الصديق رضى الله عنه وكيف أن أبا بكر ضحى بكل ما يملك وصحبه مهاجراً ، وكيف أنه جزع وهما فى غار حِراء خوفا أن يخلص أحد المشركين إلى محمد ﷺ ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يهدىء من روعه قائلا (يا أبا بكر ما ظنّك باثنين الله ثالثهما) ومن هنا أسهمت الأخوّةَ الصادقةُ فى نجاة الرسول ﷺ من أذى الكفار حتى وصل

١ - ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم تفسير سورة الحجرات . فى معنى قوله تعالى ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ صحيح مسلم ج ١٦ / ١٠٦ .

إلى المدينة، وهناك آخى بين المهاجرين والأنصار، ولم يكن هذا التآخى من أجل دنيا ولكن كان من أجل العقيدة السمحة والأمل فى رضا الله عز وجل، والمتتبع لمجتمع الإسلام منذ النشأة إلى التفوق والفتوحات يجده نشأ على معنى الأخوة والترابط والتوحد وبهذه المعانى استطاع فى فترة وجيزة القضاء على دولتى الفرس والروم وأصبحت الدنيا بأسرها للمؤمنين حيث ملأت الآفاق كلمة التوحيد لأنها فى الأساس ملأت قلوبهم . وصار المجتمع الإسلامى الكبير فى أعظم إمبراطورية فى العالم القديم كأنه الجسد الواحد فى هيئته وتكامله وتكوينه .

الحديث التاسع عشر

عن عبد الله بن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « **مثل الذى يرجع فى صدقته كمثل الكلب يرجع فى قيئه فيأكله** » [1] رواه مسلم .

التشبيه (التمثيل) فى هذا الحديث من النوع الذى غرضه التقبيح، وفيه صورة بشعة لمن يعود فى صدقته ، فالمشبه إنسان والمشبه به حيوان ، ووجه الشبه قبح الصورة التى يكون عليها الإنسان الذى يرجع فى الصدقة، وهى صورة الكلب الذى يعود فيأكل ما قاءه واستفرغه من باطنه، وهذا التخييل يقرب لأفهامنا شناعة الجرم الذى نجم عن رد الصدقة واستعادتها

١ - والحديث أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه « كتاب الهبات » باب : تحريم الرجوع فى الصدقة والهبة قال : حدثنى إبراهيم بن موسى الرازى ، وإسحاق بن إبراهيم قالا : أخبرنا عيسى بن يونس ، حدثنا الأوزاعى : عن أبى جعفر محمد بن على : عن ابن المسيب : عن ابن عباس أن النبى ﷺ قال : « مثل الذى يرجع فى صدقته، كمثل الكلب يقىء ، ثم يعود فى قيئه فيأكله » .
وانظر بقية أحاديث الباب عند مسلم فللحديث روايات أخرى : عن ابن عباس .

والرجوع فيها .

وروى الترمذى بسنده عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **مثل الذى يعطى العطية ثم يرجع فيها كالكلب أكَلَ حتى إذا شبع قاء، ثم عاد فرجع فى قيئه** » (١) .

والحديث فيه دلالة على تحريم الرجوع فى الهبة، وهو مذهب جمهور العلماء، كما أن بعض الفقهاء ذهبوا إلى أن المراد من الحديث التغليظ فى الكراهة، قال الطحاوى : قوله كالعائد فى قيئه وإن اقتضى التحريم لكنه يدل على عدم التحريم، لأن الكلب غير متعبد فالقيء ليس حراما عليه، فيكون المراد هو التنزّه عن فعل يشبه فعل الكلب، وعرف الشرع فى مثل هذه العبارة الزجر الشديد كما ورد النهى فى الصلاة عن إقعاء الكلب، ونقر الغراب والتفات الثعلب (٢) .

وقد ورد هذا الحديث بروايات عدة نذكر منها ما جاء : عن عمرو بن شعيب : عن أبيه : عن جده عن رسول الله ﷺ قال :

«مَثَلُ الذى يسترد ما وهب كمثل الكلب يقيء فيأكل قيئه، فإذا استرد الواهب فليوقف فليعرّفْ بما استردّ، ثم ليدفعْ إليه ما وهب» (٣).

قال أبو محمد (ابن حزم) الحكم فى العائد فى هبته وفي العائد فى صدقته سواء على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمفرق بينهما مخطىء ، والعجب كله قولهم إنما شبهه بالكلب يعود فى قيئه والكلب

---

١ ، ٢ – راجع ، المباركفورى ، تحفة الأحوذى ، ج ٦ / ٣٣٢ .

٣ – الحديث أخرجه أبو داود فى سننه فى كتاب البيوع والإجارات ، باب الرجوع فى الهبة وأخرجه أيضا البيهقى فى السنن الكبرى فى كتاب الهبات باب المكافأة فى الهبة من طريق ابن وهب .. بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص . (نقلاً عن السيوطى ، جمع الجوامع ص ٢٠٨٨) .

ليس ذلك حراما عليه فهذا مثله، فهنيئاً لهم هذا المثل الذى أباحوا لأنفسهم الدخول فيه، والنبى ﷺ يخبر أنه مثل السوء فكيف وقد جاء الخبر الصحيح أنه كالعائد في قيئه . والقيء عندهم حرام لاندرى بماذا؟»[1]

ولسنا نريد أن نخوص مع آراء الفقهاء ولا أن نتعقب الروايات العديدة التى يستند إليها كل فريق منهم ، إذ القصد الآن هو أن نعلم فائدة المثل من حيث هو تشبيه له طرفان وأداة ووجه، فالطرفان حسيان والأداة لفظ (مثل) ، ودخلت الكاف على مثل الثانية الخاصة بالمشبه به لتفيد التوكيد والإلصاق ، وأما وجه الشبه فهو عبارة عن الهيئة أو الصورة الحاصلة من التمثيل، بين هيئة العائد فى الصدقة أو العائد فى الهبة وهيئة الكلب الذى قاء ثم عاد يأكل ما قاءه. وهذه الصورة الحادثة عن التمثيل فى الحديث كافية لإظهار السوء الحادث عن الرجوع فى الصدقة أو الهيئة . وهى صورة مقززة منفرة تدعو المؤمنين للتنزه عنها.

وإذا تمثلنا أمامنا هذه الصورة لما جعلته أمامنا رأى العين من جزاء العائد فى صدقته لما أقدم أحد على ارتكاب هذا الفعل ، ولما حدثته نفسه بذلك ، إنها صورة من العذاب واضحة زادت تقررا بهذا التمثيل ؛ تمثيل حال الذى يرجع فى هيئته أو صدقته بحال الكلب الذى يأكل ما قاءه .

---

١ - انظر ابن حزم ، المحلى ، دار الآفاق الجديدة - بيروت ج ٩ / ١٣٥ - أحكام العبادات.

الحديث العشرون

عن نافع عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير إلى هذه مرة، وإلى هذه مرة، لاتدرى أيها تتبع » [1] . روا ه مسلم .

ورد فى شأن المنافق أحاديث كثيرة تدل على صفات فيه يستطيع المرء أن يحكم عليه بها فيما بينه وبين نفسه لأنها علامات بيّنها لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء فى قوله مثلا (آية المنافق ثلاث : إذا حدّث كذَبَ وإذا وعدَ أخلف وإذا ائتمن خان) [2]. وقوله صلى الله عليه وسلم : (أربع من كنّ فيه كان منافقا وإن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : من إذا حدّث كذَبْ وإذا وعدَ أخلْف ، وإذا خاصم فجر، وإذا عاهد غدر)[3] .

وفى الحديث الذى رواه مسلم من رواية ابن عمر تشبيه يصف حال المنافق فى التردد الحاصل منه بين الفريقين فريق المؤمنين وفريق الكافرين، فلا يكاد يستقر على حال واحدة بل هو كالشاة المترددة الحائرة التى لاتدرى أى الفريقين تتبع فهى تارة مع هذه وتارة مع أخرى.

وهذه الصورة منتزعة من البيئة لتوضح حقيقة فى شأن المنافق هى

---

١ – والحديث فى مسند أبى داود الطيالسى ـ مسند عبد الله بن عمر ـ وأخرجه أيضا أحمد فى مسنده. والحديث فى « كتاب صفات المنافقين » عند مسلم فى صحيحه. وأخرجه النسائى فى سننه فى « كتاب الإيمان » باب : مثل المنافق ، أخرجه بلفظه عند مسلم وزاد « لاتدرى أيها تتبع » من رواية ابن عمر . (راجع؛ السيوطى؛ جمع الجوامع ص ٣٠٨٧) .

العائرة : المترددة الحائرة لاتدرى أيهما تتبع .

٢ ، ٣ – رواهما الترمذى فى كتاب الإيمان فى باب علامة المنافق .

الحيرة والتردد، فما أشبه حال المنافق بحال تلك الشاة الحائرة المترددة !!

والحديث فيه تشبيه لحال المنافق فى أفعاله وتصرفاته وأخلاقياته، كحال تلك الشاة المترددة في تبعيتها فهى لا تكاد تستقر على حال واحدة، فلا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، ووجه الشبه هنا هو عدم الاستقرار والتخبط وهو أمر عقلى .

الحديث الحادي والعشرون

عن أبي كبشة الأنمارى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

« مَثَلُ هذه الأمة كمثلِ أربعة نَفَرٍ : رجلٌ أتاه الله مالاً وعلما فهو يعمل بعلمه فى ماله، ينفقُهُ فى حقه. ورجلٌ أتاه الله علما ولم يؤته مالاً، فهو يقول : لو كان لى مثل هذا عَمِلْت فيه مثل الذى يعمل » قال رسول الله ﷺ : « فهما فى الأجر سواءٌ » ورجلٌ أتاه الله مالا ولم يؤته علما . فهو يخبط فى ماله ؛ ينفقه فى غير حقه، ورجل لم يؤته الله علما ولا مالا فهو يقول : لو كان لى مثلُ هذا عملت فيه مثل الذى يعمل » قال رسول الله ﷺ « فَهُما فى الوِزْرِ سواءٌ » [(١)].

رواه ابن ماجه .

فى هذا الحديث تشبيه (تمثيل) مفرد بمركب ، فالمشبه : الأمة مفرد، والمشبه به أربعة جعلها صلى الله عليه وسلم فى صنفين ، الصنف الأول : رجل العلم والمال الذى ينفق علمه فى إنفاق ماله على الهدى ، وألحق به رجل العلم الذى حرم المال وهو يتمناه ليعمل فيه مثل عمل

١ – الحديث رواه ابن ماجه فى سننه فى كتاب

الأول فهما في الأجر سواء .

وأما الصنف الثاني : رجل المال الجاهل الذى يخبط فى ماله ، وألحق به الفقير الجاهل الذى يود أن يكون له مال فيعمل فيه مثل ما يعمل الغنى الجاهل . فهما في الوزر سواء .

أما وجه الشبه : فهو تحصيل الأجر أو الوزر . وهو أمر عقلى .

ولا تكاد تجد تشبيها أروع ولا أجمل من هذا التشبيه التمثيلى الذى يقَسّم رجال المجتمع إلى مثل هذا التقسيم الدقيق الذى تتوزع عليه فئات الناس فى أى مجتمع ، فلا تكاد تخرج أنواع الناس فى أى مجتمع عن هذا التقسيم البارع .

والصنفان يختلفان عن بعضهما فهما متقابلان أو قُلْ هما متضادان ففريق الأجر يقابله فريق الوزر ، والمجتمع بخير إذا توافر فيه الفريق الأول ، ثم هو فى خطر إذا توافر فيه الفريق الثانى .

وهذا المعنى يتضح تماما فى الآيات التى تحكى لنا عن قارون ذلك الجاهل الذى حصّل أموالا كثيرة وصلت إلى أن الفئام من الناس يثقل عليهم حمل مفاتيحها لكثرتها . هنالك ظهر فريقان من الناس الفريق الأول رجاله مؤمنون قالوا له على سبيل النصح والإرشاد لاتفرح بما أنت فيه ولا تبطر بما أنت فيه من المال لأن الله لايحب الأشرين البطرين الذين لايشكرون الله على ما أعطاهم ولا ينفقونه على الفقراء وفى سبيله .

وأما الفريق الثانى فرجاله معجبون بحال قارون وبالزينة التى أصابها من الملابس والخدم والحشم والمركب وتمنوا لو أن لهم مثل ماله .

ولما خسف الله بقارون وبداره الأرض تبين صدق حال المؤمنين ، وندم

وخزى الراغبين فى الدنيا المعجبين بقارون .

يقول الحق تبارك وتعالى ﴿ إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم، وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة، إذ قال له قومه لاتفرح إن الله لايحب الفرحين . وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لايحب المفسدين ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين . وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقْدِرْ، لولا أن منّ الله علينا لخسف بنا ، ويكأنه لايفلح الكافرون ﴾ .
« القصص آية ٨١ ، ٨٢ » .

الحديث الثاني والعشرون

عن عائشة أنها قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سترة المصلى فقال :ـ « مثلَ مؤخِرة الرّحْلِ » [(١)]. رواه مسلم .

روى مسلم فى صحيحه بسنده عن عروة عن عائشة أن رسول الله ﷺ سئل فى غزوة تبوك عن سترة المصلى فقال : كمؤخرة الرحل « وفى

---

١ – الحديث أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه فى كتاب الصلاة، باب « سترة المصلى » قال : حدثنا زهير بن حرب حدثنا عبد الله بن يزيد ، أخبرنا سعيد بن أبى أيوب : عن أبى الأسود عن عروة ، عن عائشة أنها قالت : سئل رسول الله ﷺ عن سترة المصلى، فقال : « مثل مؤخرة الرحل » .

« ومؤخرة الرحل » بضم الميم وكسر الخاء : هى لغة قليلة فى آخر الرحل ، وهى الخشبة التى يستند إليها الراكب » نووى .(راجع؛ السيوطى؛ جمع الجوامع ص ٣١٥٩) .

حديث آخر رواه عن موسى بن طلحة عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إذا وضع أحدكم بين يديه مثلَ مؤخرة الرحل فليصلِّ ولا يبالى من مرَّ وراء ذلك » .

وفى هذا الحديث الندب إلى السترة بين يدى المصلى ، وبيان أن أقل السترة مؤخرة الرحل وهى قدر عظم الذراع، وهو نحو ثلثى ذراع، ويحصل بأى شىء أقامه بين يديه. هكذا ، قال العلماء والحكمة فى السترة كف البصر عما وراءه ، ومنع من يجتاز بقربه .

والتشبيه هنا لبيان المقدار، فالمشبه هو سترة المصلى، والمشبه به هو مؤخرة الرحل، وأداة التشبيه لفظ (مثل) ووجه الشبه هو « المقدار» لكنه محذوف لفهمه من سياق الكلام، وأصل الكلام، يكون كقولنا (سترة المصلى مثل مؤخرة الرحل فى المقدار) .

خاتمة البحث

إن دراسة الأمثال النبوية على النهج الذى اتبعناه أمرٌ مطلوب لشروح المتون، لتبيين التصوير الذى يؤثر بقوة فى نفس السامع أو القارىء، فبلاغة الرسول ﷺ الذى تشرب قلبه وصدره بلاغة القرآن ـ جاءت فى أجمل أداء بشرى، كما جاء بيانه صلى الله عليه وسلم فى أرقى المدارج فلا يكاد المبدعون من بنى الإنسان يصلون إليه ، ومهما كانت المحاولة فإن حديثه صلى الله عليه وسلم هو الأعلى عند القياس، وبيانه هو الأجلى عند المقارنة.

وإذا كان العلماء السابقون قد أدوا ما عليهم فى سبيل توضيح الإعجاز البلاغى للقرآن الكريم فأحسنوا وأجادوا ، فإن على علماء عصرنا أن يشمروا عن سواعدهم، ويشحذوا عقولهم، ويستنهضوا هممهم لتوضيح البلاغة النبوية والكشف عن أسرار البيان النبوى من حيث هو تالٍ للقرآن وتابع له .

وإذا كنا قد تناولنا موضوع الأمثال فى الحديث النبوى على أنه جانب من البيان يدخل فى باب التشبيه، فإن أنواع التشبيهات كثيرة فى أحاديثه صلى الله عليه وسلم فمن تشبيهاته البليغة قوله عليه الصلاة والسلام فى ذكر الخوارج : « يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » فهو ﷺ قد شبّه دخولهم فى الدين وخروجهم منه بسرعة من غير أن يتعلقوا بعقيدته بالسهم الذى أصاب الرمية، وهى الطريدة المرمية ثم خرج مسرعا من جسمها ولم يعلق بشىء من فرثها ودمها، وذلك من صفات السهم

الصائب ، لأنه لايكون شديد السرعة إلا إذا كان قوى النزعة [1].

وذلك وأمثاله من التشبيهات يحتاج إلى شرح وتبيين لوجوه روعة البلاغة النبوية، على المستويين اللغوى والبياني ، كما أن هناك أحاديث عديدة جاءت مضرب الأمثال . هى كذلك تحتاج إلى شرح وتبيين لإجلاء المعانى وإظهار جمال الصياغة وروعة التركيب .

ومن أقواله صلى الله عليه وسلم التى ذهبت مضرب الأمثال [2]:

١ – إنما الأعمال بالنيّات .

٢ – الدين النصيحة .

٣ – خير العلم ما نفع .

٤ – صوموا تصحوا .

٥ – الحياء شعبة من الإيمان ، ولا إيمان لمن لاحياء له .

٦ – الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تنافر منها اختلف .

٧ – زُر غبًا تزدد حبا .

٨ – ما قل وكفى خير مما كثر وألهى .

٩ – حب الدنيا رأس كل خطيئة .

١٠ – خير الأمور عواقبها ، وشر الأمور محدثاتها .

١١ – لاتظهر الشماتة لأخيك ، فيعافيه الله ويبتليك .

---

١ – الأستاذ / محمد إبراهيم العشماوى ، بلاغة الرسول ﷺ، مقال نشرته مجلة الأزهر فى اكتوبر سنة ١٩٩٩م ، ص ٨٧٦ وما بعدها نقلاً عن كتاب المجازات النبوية للشريف الرضى ص ٣٥) .

٢ – من كتاب الأمثال والحكم للماوردى (ت ٤٥٠) بتحقيق د/ فؤاد عبد المنعم أحمد).

١٢ – من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه .

١٣ – أشكر الناس لله أشكرهم للنا س.

١٤ – المؤمن غر كريم، والفاجر خَبٌّ لئيم .

١٥ – إنما يرحم الله من عباده الرحماءَ .

١٦ – اتقوا النار ولو بشق تمرة .

١٧ – نزلت المعونة على قدرِ المؤونة .

١٨ – الأمر إلى آخره وملاكُـه خواتمه .

١٩ – مرارة الدنيا حلاوة الآخرة .

٢٠ – الناس معادن كمعادن الذهب والفضة .

ويقودنا الكلام بعد ذلك إلى ضرورة تناول ما صح من حديثه ﷺ وسلم من شذوذ أو علة بالدرس اللغوى والإيضاح البيانى للكشف عن محاسن البلاغة النبوية من حيث إنها تعلو كلام الناس من جهة وتنزل عن بلاغة القرآن من جهة أخرى وأنه لامطمع لأبلغ الناس فى مجاوزة بلاغته ﷺ لأن حديثه صلى الله عليه وسلم قد كثر فيه هذا النوع من الكلم الجامعة التى هى حكمة البلاغة وهى شيء تتقاصر عن بلوغه همم البلغاء.

وهناك اتجاه معاصر يرمى إلى تناول الحديث النبوى بلاغيا، إذ هو يمثل مادة عظيمة للاستشهادات اللغوية والبيانية وفى نصوصه شواهد كثيرة يمكن الانتفاع بها فى مجال الدراسات اللغوية والبيانية .

ومن الدراسات المعاصرة التى تناولت الحديث النبوى بغرض استنباط الظواهر العامة للبلاغة النبوية مع التطبيق البلاغى العام على طائفة من الأحاديث تبين التذوق البيانى وما يحدثه من الروعة عند سماع كلام النبى

ﷺ أو قراءته ، تلك الدراسة التى قدمها الدكتور / عز الدين على السيد من علماء الأزهر الشريف تحت عنوان « الحديث النبوى من الوجهة البلاغية» [1]. أفاض فيها صاحبها وأجاد، فهى دراسة هادية لكل من أراد الدخول فى هذا الجانب والخوض فيه .

كذلك فإن من الكتب التى ألفت فى عصرنا الحاضر حول البلاغة النبوية بقصد إظهار روعة البيان وجمال التصوير، وتجلية معنى قوله صلى الله عليه وسلم « أوتيت جوامع الكَلِمْ واختصر لى الكلام اختصارا » ، كتاب « من بلاغة الحديث النبوى » [2] للدكتور / محمد أحمد سحلول حيث تناول فيه طائفة من الأحاديث النبوية وطبّق عليها دراسته البلاغية فى أسلوب رائق سهل سائغ للشاربين .

ولاتزال المكتبة الحديثية فى حاجة إلى مثل هذه الدراسات الجادة لإضافة أمثلة جديدة فى مجال الدراسات البلاغية تؤخذ من حديث النبى صلى الله عليه وسلم وتنهض على نسق البلاغة النبوية التى تمثل أعلى مستويات الإبداع الإنسانى .

---

١ – كتاب مطبوع بالقاهرة ، وفى مكتبة جامعة الأزهر ـ دراسة مقدمة بتاريخ ١٣٩٦هـ.

٢ – كتاب فى جزأين ـ نشر دار الاعتصام ـ بالقاهرة . الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م .

مراجع البحـــث

*** ابن الجوزى ؛ أبو الفرج عبد الرحمن بن على (ت ٥٩٧هـ)**

١ ـ كتاب الموضوعات ، بتحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، نشر محمد عبد المحسن صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ـ الطبعة الأولى سنة ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٦م .

*** ابن حجر العسقلانى ؛ أحمد بن على (ت ٨٥٢هـ).**

٢ ـ فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، طبعة دار الفكر بيروت . سنة ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٦م .

*** ابن حزم ، أبو محمد على بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦).**

٣ ـ المحلى ، دار الآفاق الجديدة ـ بيروت .

*** ابن كثير الدمشقى ؛ إسماعيل بن كثير (٧٧٤)**

٤ ـ تفسير القرآن العظيم ، نشر مكتبة الدعوة الإسلامية شباب الأزهر.

*** ابن ماجه القزوينى ؛ ابو عبد الله محمد بن يزيد (ت ٢٧٥هـ)**

٥ ـ سنن ابن ماجه ، بتحقيق وتعليق محمد فؤاد عبد الباقى نشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة .

*** ابن منظور ؛ جمال الدين أبو الفضل (ت ٧١١ هـ)**

٦ ـ لسان العرب ـ دار إحياء التراث العربى ، مؤسسة التاريخ العربى ـ بيروت ـ لبنان . الطبعة الثانية ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م ـ والمكتبة التوفيقية بالقاهرة .

*** أحمد الاسكندرى ؛ (وآخرون)**

٧ ـ المفصل فى تاريخ الأدب العربى ، وزارة المعارف العمومية ـ مطبعة مصر سنة ١٣٥٢هـ ـ سنة ١٩٣٤ هـ .

* الترمذى ؛ أبو عيسى محمد بن عيسى (ت ٢٧٩).
٨ ـ الجامع الصحيح ، طبعة مصطفى البابى الحلبى سنة ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.
* الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥).
٩ ـ البيان والتبيين ، بتحقيق فوزى عطوى ـ دار صعب . بيروت سنة ١٩٦٨ م.
* الجرجانى ، عبد القاهر (ت ٤٧١ هـ)
١٠ ـ أسرار البلاغة ، بتحقيق لمحمد عبد المنعم خفاجى ـ مكتبة القاهرة بميدان الأزهر ـ الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.
* الحسن بن عثمان بن الحسين المفتى (ت ١٠٥٩هـ).
١١ ـ خلاصة المعانى ، بتحقيق د/ عبد القادر حسين ـ طبعة دار الاعتصام. سنة ١٩٩٣م.
* الخطيب البغدادى ، أبو بكر أحمد بن على بن ثابت (ت ٤٦٣) .
١٢ ـ كتاب الكفاية فى علم الرواية ، نشر دار الكتب الحديثة بعابدين ـ القاهرة سنة ١٩٧٢م.
* السيوطى ، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ)
١٣ ـ جمع الجوامع المعروف بالجامع الكبير ـ مجمع البحوث الإسلامية ـ الطبعة الأولى ١٤٠٩ ـ ١٩٨٨م.
* الصابونى ؛ محمد على
١٤ ـ صفوة التفاسير ـ مكتبة الإيمان ـ المنصورة ، الطبعة التاسعة .
* طـــه حسين ؛
١٥ ـ المجمل فى تاريخ الأدب العربى ، (معه آخرون) المطبعة الأميرية بالقاهرة سنة ١٩٣٠م.
* د/ عبد الرازق محمد محمود فضل ؛
١٦ ـ من طرائق البيان ـ مطبعة الأمانة ـ شبرا ـ القاهرة سنة ١٩٩٠م.

* د/ عثمان سليمان موافى ؛

١٧ ـ دراسات فى النقد العربى ـ دار المعرفة الجامعية ـ الشاطبى الإسكندرية ، ط ٣ سنة ١٩٩٩م.

* د/ عز الدين على السيد ؛

١٨ ـ الحديث النبوى من الوجهة البلاغية ؛ طبعة ١٣٩٦هـ .

* د/ العمارى ؛ على محمد حسن

١٩ ـ أسرار البيان ، طبعة الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية سنة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

* فخر الدين الرازى ؛ محمد بن عمر (ت ٦٠٦ هـ).

٢٠ ـ نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز، بتحقيق د/ أحمد حجازى السقا ، المكتب الثقافى للنشر والتوزيع سنة ١٩٨٩م.

* الماوردى ؛ على بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠) .

٢١ ـ الأمثال والحكم للماوردى ، تحقيق ودراسة د/ فؤاد عبد المنعم أحمد ، مؤسسة شباب الجامعة بالاسكندرية .

* المباركفورى؛ محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم (ت ١٣٥٣)

٢٢ ـ تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى ، نشر محمد عبد المحسن الكتبى . صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .

* د/ محمد أحمد سحلول ؛

٢٣ ـ من بلاغة الحديث النبوى ـ دار الاعتصام ـ الطبعة الأولى سنة ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

* محمد صديق حسن القنوجى ؛

٢٤ ـ غصن البان المورّق بمحسنات البيان ، دار الكتب العلمية ببيروت ، لبنان ـ الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

* مصطفى صادق الرافعى ؛

٢٥ ـ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، دار المنار ، مكتبة فياض .

* د/ مصطفى الصاوى الجوينى ؛
٢٦ ـ البيان فن الصورة ، دار المعرفة الجامعية ـ اسكندرية سنة ١٩٩٣م.
* **النووى ؛ محيى الدين أبى زكريا يحيى بن شرف (ت ٦٧٦)**
٢٧ ـ شرح صحيح مسلم بشرح النووى ـ مكتبة فياض ـ المنصورة . طبعة سنة ١٩٩٨م.
* **النويرى ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (٧٣٣ هـ).**
٢٨ ـ نهاية الأرب فى فنون الأدب ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ـ وزارة الثقافة والإرشاد القومى ـ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر .
ـ ومن الدوريات :
ـ محمد إبراهيم العشماوى :
٢٩ – بلاغة الرسول ﷺ ـ مقال نشرته مجلة الأزهر فى أكتوبر سنة ١٩٩٩م.

﴿ فهرس البحث ﴾

﴿ فهرس البحث ﴾

رقم الإيداع

٢٠٠٠ / ١٩٠٠٠٦٦٤

I S B N 977 - 5159 - 555